

روايات  
مصرية  
للجيب

فارس الأندلس

جاسوس قرطبة

Looloo

[www.dvd4arab.com](http://www.dvd4arab.com)

د. نبيل فاروق

## ١ — الفارس ..

انتفضت معرفة جواد عربى أصيل ، وتطايرت في نُفومة ،  
قبل أن تستقر على جبين الجواد الأبيض القوى ، الذى رفع  
رأسه ، يستقبل الخيط الأوّل للشمس ، مطلقاً صهيلاً خافقاً ،  
وضارباً الأرض بحوافره في رفق ، ثم مال برأسه ، وهو يديرها  
إلى خيمة كبيرة ، داعب أستارها بمنخيره ، وهو يواصل صهيله  
الخافت ، قبل أن تمتد يد قوية ، تريح الأستار في هدوء ، ويرز  
من الخيمة شاب قوى ، ممشوق القوام ، متين البنيان ، وسيم  
الطلعة ، حليق الوجه ، انسدت لحصلة من شعره الفاحم  
الناعم على جبينه ، وابتسم الشاب وهو يرت على عنق الجواد  
الأبيض ، قائلاً :

— صباح الخير يا رفيق العمر .. هل نعمت بنوم جيد الليلة ؟  
أطلق الجواد الجميل صهيلاً آخر ، وهو يمسخ رأسه وعنقه  
بصدر الشاب القوى ، الذى واصل ثريته على عنق جواده ،  
وراح يمرر أصابعه في معرفته الناعمة ، حتى سمع صوتاً حائياً  
يقول في نبرة طيبة :

من بين أوراق التاريخ جاء ..

من قلب الحضارة والأمل ظهر ..

من أجل العدالة والحق كان ..

رمز الماضى والحاضر والمستقبل ..

الفارس ..

فارس الأندلس ..

د. نبيل فاروق

— صباح الخير يا ولدي

تخلى الشاب عن جواده الأبيض ، والتفت إلى صاحب الصوت ، واعتدل في احترام ، وهو يقول للشيخ الأشيب ، ذى اللحية البيضاء الوقور ، والوجه المهيب :

— صباح الخير يا عمّاه

ابتسم له الشيخ ابتسامة حانية ، ثم اتجه نحو صخرة كبيرة مصقولة ، واتخذها مجلساً له ، والتفت إلى خيمة ثالثة صغيرة ، وهو يسأل :

— ألم يستيقظ ( مهاب ) بعد ؟

برز من الخيمة الثالثة رجل أشيب الفوذنين ، واضح القوة ، تآثرت الشّعيرات البيضاء — على نحو عشوائى — في لحيته القصيرة وشاربه ، وهو يقول في تراخ :

— لقد استيقظت يا سيدي .

سأله الشاب في شغف .

— ما رأيك في قليل من الرياضة ؟

عقد ( مهاب ) حاجبيه ، ومطأ شفتيه ، قائلاً :

— أليس من الطبيعي أن يتناول المرء طعام إفطاره أولاً ؟

أطلق الشاب ضحكة مرحة ، وقال :

— صدقت .

وبمهارة ورشاقة مثيرتين للإعجاب ، وثب الشاب يعجل صهوة جواده ، وجذب معرفة الجواد ، الذى رفع قائمته الأماميتين ، وأطلق صهيلًا حماسيًا قويًا ، وانتمت عيناه في جدل ، قبل أن يضرب الأرض بقوائمه ، وينطلق براكبه ، دائرًا حول الخيام الثلاث ، في حين أمال الشاب جسده على نحو مدهش ، ليلتقط قوسه وجعبة سهامه ، ثم اعتدل وهو يضرب بطن جواده بكفيه في رفق وحزم ، وانطلق الجواد الأبيض الشاهق يخطفى براكبه في الأفق القريب ، ( ومهاب ) يهتف في تكاسل :

— لا تحضر أرنبا .. لقد سئمت الأرناب على الإفطار .

ثم تنهد في عمق ، واستطرد :

— كم هو رائع هذا الشاب !

ابتسم الشيخ ابتسامة حانية ، وهو يتطلع إلى الأفق ، حيث

اخطفى الشاب وجواده ، وقال في لهجة تحمل شيئاً من الحزن :

— إنه يذكرني بوالده ( رحمه الله ) .

تنهد ( مهاب ) مرة أخرى ، وقال :

— كان ( رحمه الله ) أعظم فرسان ( الأندلس ) .

رَأَى عَلَيْهِمَا الصَّمْتَ لِحِظَاتٍ ، اتَّجَهَ خَلَالَهَا ( مَهَاب ) إِلَى  
خِيَمَتِهِ ، وَعَادَ حَامِلًا سَيْفَهُ وَجِرَابَهُ ، وَتَمَنَّقَ بِهِمَا ، وَهُوَ يَقْطَعُ  
حَبْلَ الصَّمْتِ ، سَائِلًا الشَّيْخَ :

— أَظُنُّ أَنَّ الشَّابَّ قَدْ بَلَغَ الْمَدَى الْمَطْلُوبَ يَا سَيِّدِي  
الْوَزِيرَ ، فَلَقَدْ صَارَتْ ذِرَاعُهُ قَوِيَّةً ، تَحْمِلُ السَّيْفَ ، وَتَضْرِبُ بِهِ  
فِي صَلَابَةِ وَحَزْمٍ ، وَيَنْدُرُ أَنْ تَخْطِي مَسْهَامَهُ هَدْفَهَا ، كَمَا أَنَّهُ يَمْتَلِكُ  
قَلْبًا بَاسِلًا ، لَا يَخْشَى فِي الْحَقِّ لَوْمَةَ لَائِمٍ ، وَنَفْسًا شَجَاعَةً ،  
لَا تَهَابُ أَشَدَّ الْخَطَايِرِ ، وَلَا أَعْظَمَ الشَّدَائِدِ .. أَلَمْ يَجْنِ وَقْتُ  
انْطِلَاقِهِ بَعْدَ ؟

شَرَّدَ الشَّيْخُ بَبْصَرِهِ فِي الْأَفْقِ ، وَقَالَ :

— إِنِّي أَنْتَظِرُ إِشَارَةَ الْبَدْءِ يَا وَلَدِي ، فَلَقَدْ أَعَدَدْتُ  
( فَارِس ) طَيْلَةَ الْأَعْوَامِ الْعَشْرِينَ الْمَاضِيَةَ ، لِلذُّودِ عَنْ  
( الْأَنْدَلُسِ ) ، قَبْلَ أَنْ تَغْرُبَ شَمْسُ الْعَرَبِ فِيهَا ، وَلَقَدْ وَعَدْتُ  
وَالِدَهُ ( رَحِمَهُ اللَّهُ ) عَلَى أَنْ أَصْنَعَ مِنْهُ أَعْظَمَ فَرَسَانَ  
( الْأَنْدَلُسِ ) ، وَأَنْ أَجْعَلَهُ سَيْفَ اللَّهِ ( سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ) فِيهَا .

ثُمَّ التَفَّتْ إِلَى ( مَهَاب ) ، مُسْتَطَرِّدًا فِي حَزْمٍ :

— وَلَكِنْ حَذَارِ أَنْ تَخَاطِبَنِي أَمَامَهُ بِلِقَبِ ( الْوَزِيرِ ) ، فَهُوَ  
لَا يَعْلَمُ بَعْدَ حَقِيقَةِ مَنْشِئِهِ ، وَلَا نَبْلَ مَحْتَدِهِ ، وَالْأَفْضَلُ أَنْ يَقِي  
كَذَلِكَ ، حَتَّى تَحِينَ اللَّحْظَةُ الْمُنَاسِبَةُ .

ابْتَسَمَ ( مَهَاب ) ، وَقَالَ :

— وَمَتَى تَحِينُ اللَّحْظَةُ الْمُنَاسِبَةُ ؟

رَفَعَ الشَّيْخُ عَيْنَيْهِ إِلَى قُرْصِ الشَّمْسِ ، الَّذِي يَتَصَاعَدُ فِي  
الْأَفْقِ ، وَأَجَابَ فِي حَزْمٍ :

— عِنْدَمَا تَشْرُقُ شَمْسُنَا عَلَى ( الْأَنْدَلُسِ ) مَرَّةً أُخْرَى ،  
وَيُصْبِحُ مُؤَهَّلًا لِاسْتِعَادَةِ عَرْشِ أَبِيهِ ، وَمَلِكِ ( الْأَنْدَلُسِ ) .

أَشَارَ ( مَهَاب ) إِلَى الْأَفْقِ ، وَابْتَسَمَ قَائِلًا :

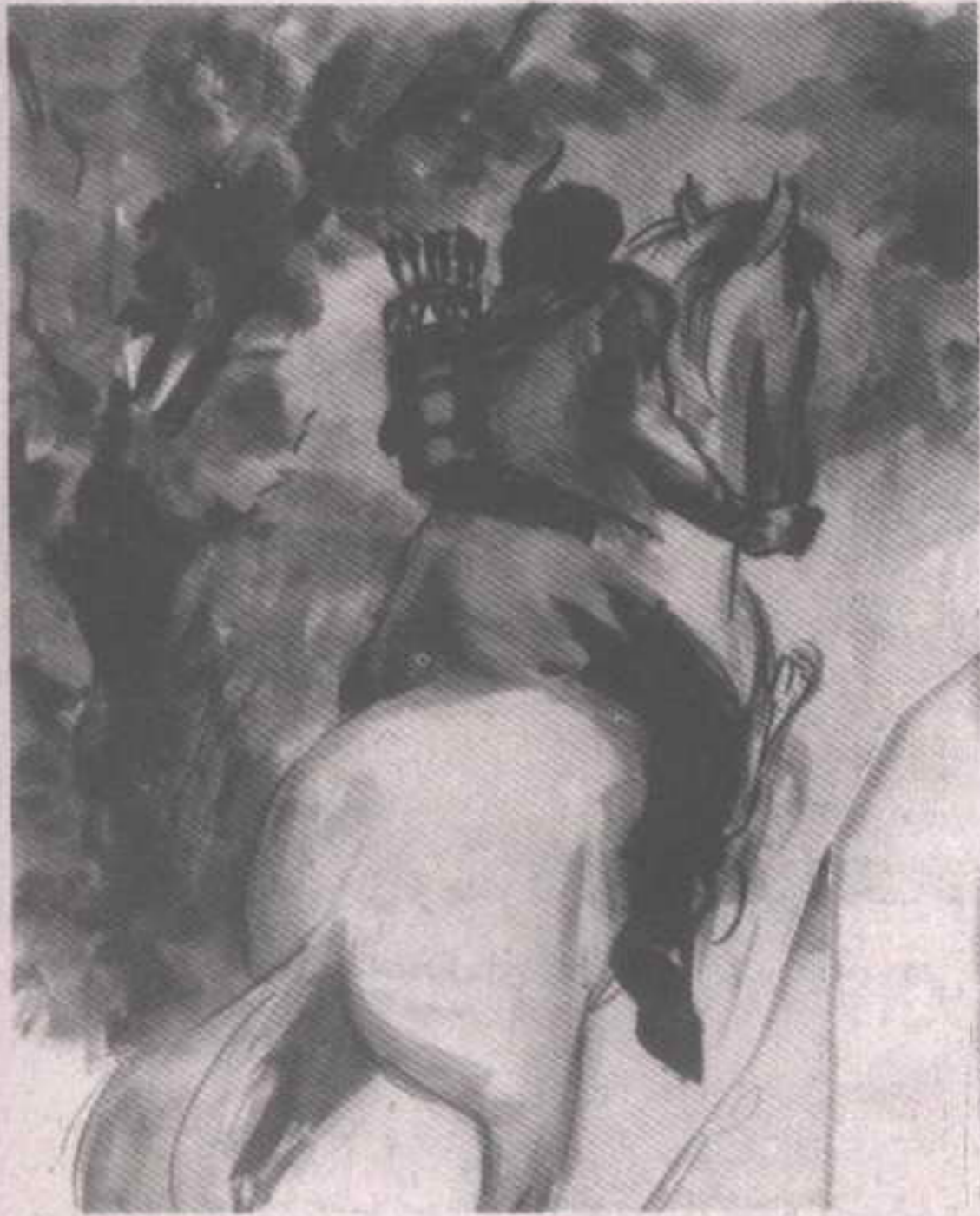
— هَا هُوَ ذَا .. لَقَدْ عَادَ .

التَفَّتْ الشَّيْخُ إِلَى حَيْثُ يَشِيرُ ( مَهَاب ) ، وَابْتَسَمَ فِي  
ارْتِيَاحٍ ، وَهُوَ يَتَابِعُ ( فَارِس ) ، الَّذِي يَقْتَرِبُ عَلَى صَهْوَةٍ  
جَوَادَةٍ ، وَابْتِسَامَةِ الْقُوَّةِ وَالثِّقَّةِ تَتَأَلَّقُ عَلَى وَجْهِهِ الْوَسِيمِ ، حَتَّى  
بَلَغَ مَوْقِعَ الشَّيْخِ وَ( مَهَاب ) ، فَأَلْقَى غَزَالًا إِلَى ( مَهَاب ) ،  
وَهُوَ يَقُولُ :

— خُذْ أَيُّهَا الشَّرُّه .. لَقَدْ أَبَدَلْتُ بِوَجْهَةِ الْأَرَانِبِ غَزَالًا  
صَغِيرًا هَذَا الصَّبَاحِ .

ابْتَسَمَ ( مَهَاب ) ، وَهُوَ يَحْمِلُ الْغَزَالَ إِلَى مِئْزَرَةِ الشَّوَاءِ ،  
قَائِلًا :

— كَمْ سَهْمًا اسْتَخْدَمْتَ لِصَيْدِهِ ؟



استدارت العيون كلها إلى حيث يشير ، وتعلقت الأبصار بجواد أسود  
حالك السواد ، ينطلق متجهًا إلى حيث الخيام ..

أجابه ( فارس ) ، وهو يبسط عن الجواد :  
— واحدًا .  
اتسعت ابتسامة ( مهاب ) ، وهو يقول :  
— كنت أتوقع هذا .  
التقط ( فارس ) سيفه ، ولوح به ، هاتفاً :  
— والآن مارأيك في مبارزة قصيرة ، حتى تفوح رائحة  
الشيء .  
أطلق ( مهاب ) ضحكة قصيرة ، وقال :  
— لا بأس .  
واستل سيفه بدورته ..  
وتقارعت السيوف ..  
وتردد الصليل في الوادي ، والفارسان يتبارزان في قوة  
وغنفوان ، والشيخ يتابع المبارزة في اهتمام بالغ ، حتى توقف  
( مهاب ) فجأة عن المبارزة ، وهتف مشيرًا إلى الأفق :  
— الفهد ..  
استدارت العيون كلها إلى حيث يشير ، وتعلقت الأبصار  
بجواد أسود حالك السواد ، ينطلق متجهًا إلى حيث الخيام  
الثلث ، وعلى منته زنجي مفتول العضلات ، بارز الصدر ،

كثيف الشعر ، يرتدى على صدره العارى صِدَارَهُ المُرْكَش  
الأسود ، الذى يكاد يستحيل تمييزه عن جسده ، أو جواده ،  
مما جعل ثلاثهم يدون ككتلة من اللون الأسود ، دبَّ فيها  
النشاط ..

واقرب الزنجي حتى بلغ موقع الثلاثة ، ثم قفز عن جواده ،  
وانحنى أمام ( فارس ) فى احترام بالغ ، قبل أن ينهض متجهًا نحو  
الشيخ ، ولكن ( فارس ) أمسك كتفه فى قوة ، وهو يستوقفه  
قائلًا :

— مهلاً يا ( فهد ) .. لماذا تنحنى أمامى ذومًا ؟

لم يجب ( فهد ) ..

بل لم تنفرج شفتاه ..

لقد بقى يتطلع إلى وجه ( فارس ) فى توقير واحترام  
وصمت ، كأنما قد استحال إلى تمثال من الآبنوس\* ، حتى  
قال الشيخ فى حزم :

(\*) الآبنوس : خشب أسود اللون ، لعدد من الأشجار الاستوائية ،  
وهو خشب صلد ، يمتاز الصقل ، يستعمل فى صناعة الأثاث الفاخرة ،  
وبعض التماثيل الغالية الثمن ، وأصابع البيانو .

— ماذا دهاك يا ( فارس ) ؟ .. أنسيت أن ( فهد ) أبكم  
أصم ، لا يمكنه أن يسمعك أو يحدثك ؟  
تطلع ( فارس ) إلى وجه ( فهد ) الجاهد طويلًا ، قبل أن  
يفهم :

— حقًا ؟

جذب الشيخ ( فهد ) إلى خيمته ، وهو يقول فى صرامة :  
— دَعَكَ من هذا يا ( فارس ) ، وعُدْ إلى مبارزتك مع  
( مهاب ) .

راقبهما ( فارس ) وهما يدلقان إلى خيمة الشيخ ، فى حين  
هتف به ( مهاب ) :

— هل تنسحب ؟

التفت إليه قائلًا فى حزم :

— مطلقًا .

وعاد سيفاهما يتقارعان ، إلا أن ( فارس ) بدا شديد  
الشُّرود هذه المرَّة ، حتى أن ( مهاب ) سأله :

— ماذا أصابك ؟ .. ضرباتك تفتقر إلى القوة هذه المرَّة .

جمع ( فارس ) كل قوته وضيقة فى ضربة قوية ، هوى بها  
سيفه على سيف ( مهاب ) ، وهو يقول فى جدَّة :

— هل تظن هذا ؟

انزعت الضربة سيف ( مهاب ) من قبضته ، وأطارته إلى  
خيمة الشيخ ، حيث استقر أمامها ، فأطلق ( مهاب ) ضحكة  
خافتة ، وقال في خجل :  
— لم أقصد هذا تمامًا .

ابتسم ( فارس ) ابتسامة باهتة ، وهو يتجه إلى حيث سقط  
سيف ( مهاب ) ، مغمفًا :

— لم أكن أقصد انتزاع سيفك .. سأحضره لك بنفسى .  
بلغ موضع السيف ، وانحنى ليلقطه ، ولكنه تجمّد في  
موضعه ، عندما تناهى إلى مسامعه حديث خافت ، يحمل صوتي  
رجلين ..

صوت الشيخ وصوت ذلك الأبكم ..

( فهد ) ..

\*\*\*

اعتدل ( فارس ) على نحو حاد ، وراودته فكرة أن يقتحم  
خيمة الشيخ ، ويفاجئ ( فهد ) وهو يتحدث ، وتساءل في  
غضب عن سر كل هذا الغموض المحيط به ، منذ نشأته  
الأولى ..

منذ عكف الشيخ على تربيته وتدريبه على كل وسائل  
القتال ، وهو يجهل كل شيء عن نفسه ، إلا ما يخبره به الشيخ ،  
وما يفلت به لسان ( مهاب ) ، مدرّبه وصديقه الوحيد ..  
لماذا يتم إعداده على هذا النحو الفائق ؟ ..

آية مهمة سامية تنتظره ؟ ..

هل أى قدر ؟ ..!

قطع صوت ( مهاب ) أفكاره ، وهو يتف ضاحكًا :

— هل السيف ثقيل إلى هذا الحد ؟

برز الشيخ من خيمته في هذه اللحظة ، وبدت عيناه  
متألفتين ، وهو يقول :

— كفى يا ( مهاب ) .. انتهى وقت اللعب .

تابع ( فارس ) ببصره ( فهد ) ، الذى تسلل من خلف  
ظهر الشيخ إلى جواده الأسود ، وقفز على ظهره ، وانطلق به

مبتعدًا ، في حين أدار الشيخ عينيه إلى ( فارس ) ، وقال :

— اقترب يا ولدى .

اقترب منه ( فارس ) ، وعشرات التساؤلات تملأ عقله  
ونفسه ، فأمسك الشيخ كفه ، وأجلسه أمامه ، وهو يجلس

بذوره على الصخرة المصقولة ، ثم وضع يده على كفه ، وقال :

— اسمعني جيّدًا يا ( فارس ) .. منذ ما يقرب من ثمانية قرون ، وبالتحديد في الخامس من رجب ، عام ( ٩٢ هـ ) ، الموافق شهر أبريل من عام ( ٧١١ م ) ، وقف الفارس العربي ( طارق بن زياد ) ، على شاطئ ( الأندلس ) ، يهتف بجنوده : « البحر من ورائكم ، والعدو من أمامكم ، فأين المفرّ ؟ .. » .. وكانت صيحته هذه هي شرارة فتح ( الأندلس ) ، التي شهدت في ثمانية قرون عربية نهضة رائعة . ثقافية ، وفنية ، وأدبية ، وحضارية ، كما شهدت المحاولات المستميتة من ملوك وأمراء وسلاطين ( أوروبا ) ، لاستعادة شبه الجزيرة الأيبيرية ، التي حملت من قبل اسم قبائل ( الفندال ( Vandals ) ) ، أو ( الأندلس ) ، الذي تحمله الآن .. ومنذ عهد الملك ( لدريقى )<sup>(\*)</sup> حمل العرب لواء ( الأندلس ) ، إلى أن نشبت بينهم الصراعات والحلقات الداخلية ، وهنا انقضت عليهم ملوك ( أوروبا ) ، وعلى رأسهم ( فرنادو الثالث ) ، ملك ( قشتالة ) ، ونجحوا في استعادة معظم ( الأندلس ) ، بما في

(\*) ( لدريقى ) أو ( ردريقى ) : آخر ملوك القوط الغربيين في ( إسبانيا ) ، هزمه ( طارق بن زياد ) عام ٧١١ م ، قرب مدينة ( صيدونيا ) . في أوائل الفتح الأندلسي .

ذلك عاصمتها ( قرطبة ) ، ولم تبق لنا سوى مملكة ( غرناطة ) ، التي نطلق عليها اسم ( الأندلس الصغرى ) ، والتي يسمي ( فرنادو الخامس ) ملك ( أرجون ) ، و ( إيزابيلا ) ملكة ( قشتالة ) و ( ليون ) لتحطيمها وهزيمتها ، وطرده العرب منها<sup>(\*)</sup> .

نقد صبر ( فارس ) في سرعة ، فقال :

— لقد ألقيت هذا على مسامعي عشرات المرات يا عمّاه ،

فما الجديد هذه المرة ؟

تهنّد الشيخ في عمق ، وضغط كفف ( فارس ) في رفق ،

وهو يقول :

— ( فرنادو ) و ( إيزابيلا ) يخططان لتحطيم البقية الباقية

من ( الأندلس ) يا ولدي ، ولقد أرسلنا إلى ( غرناطة ) أقوى

جواسيسهم في ( قرطبة ) ، ويُدعى ( رودريك ) ، وهو فارس

قوى صلب ، تقتصر مهمته على لقاء تاجر خائن في

( غرناطة ) ، والحصول منه على خريطة تبين نقاط ضعف

الحراسة حول المملكة ؛ ليسهل اقتحامها .

عقد ( فارس ) حاجبيه ، وقال في قلق :

(\*) حقائق تاريخية ..



— ولكن هذا قد يَغْنِي نهاية الحكم العربي في ( الأندلس )  
يا عَمَّاه ، ومن الضروري أن نبذل قُصارى جهدنا لمنع جاسوس  
( قرطبة ) هذا ، من العودة إلى أسياده بخريطة دفاعاتنا .

ابتسم الشيخ ، وهو ينهض ، قائلاً :

— تعال يا ولدى .

قاده إلى خيمته ، و ( مهاب ) يتابعهما في صمت ، وقد  
سَرَت في جسده رعشة هيبية وترقُب ، في حين انحنى الشيخ يفتح  
صندوقاً مختموماً ، والتقط من داخله حُلَّة فارس بيضاء ،  
وخوذة من الفضة ، وسيفاً له مقبض ، ونطاقاً وجراثبا من  
اللون الأخضر ، وناول كل هذا ( فارس ) ، وهو يقول  
في حزم :

— لقد حانت اللحظة يا ولدى .. اللحظة التي أنتظرها منذ  
عشرين عاماً .. هذه مقتنيات والدك ، وهأنذا أسلمها إليك ،  
لتتم مهمته ، ولتبدأ مهمتك السامية ، لإنقاذ راية  
( الأندلس ) .

التقط ( فارس ) الحُلَّة والسيف والخوذة ، وهو يسأله في

شغف :

— ولكن من هو والدى يا عَمَّاه ؟ .. ما اسمه ؟ .. من  
كان ؟ .. وأى لقب أحمله أنا بعد اسم ( فارس ) ؟ ..

ابتسم الشيخ ابتسامة خافتة ، وقال :

— يكفيك أنك ( فارس ) يا ولدى .

ثم وضع يده على كتفه ، مستطرذاً في زهو وحماس :

— فارس ( الأندلس ) ..

وكانت هذه لحظة الميلاد ..

\*\*\*



## ٢ — الجاسوس ..

أشرقت الشمس في مشهد بديع ، وألقت أشعتها المتألقة الدافئة ، من خلف جبال ( سيرانيقادا ) ، كخيوط من ذهب ، انهمرت على مدينة ( غرناطة ) ، عاصمة ( الأندلس الصغرى ) ، وتألقت على قصر الحمراء ، الحصن العرني الشامخ ، وانعكست على وجه فارس متين البنيان ، واضح القوة ، يرتدى حُلَّة مزركشة ، مزدانة بخيوط من الذهب والفضة ، اتجمعت تحت ضوء الشمس ، وأبرزت شعره الأسود اللامع ، ولحيته القصيرة ، وشاربه الفاحم ، الذي يتناقض كثيرًا مع عينية الزرقاوين ، وإن اتفقت ألوانه مع لون جواده الأسود ، ذي البقع البيضاء ، التي تحير الناظر والباحث عن أصل الجواد ، الذي انسدل على ظهره سرج ثمين ، وامتد من فكِّه عنان مَوْشَى بخيوط القصب ، ليستقر في قبضة راكمه ، ويتأرجح مع حركته الهادئة المدروسة ، وعينا الفارس الزرقاوان تدرسان المكان في حُنكة واهتمام ، حتى وقع بصره على باب من خشب الصندل ، تشف نقوشه البارزة عن ثراء

صاحبه ، ورفيع منزلته ، فأوقف الفارس جواده ، وهبط عنه ، ودق الباب في حزم ، وانتظر لحظات ، حتى برز أمامه رجل قصير ، سأله في اهتمام :

— ماذا ينشد السيد ؟

أجابه الفارس :

— أتيت من خلف الجبال ، لأقابل سلطان ( غرناطة )

المرتقب .

ارتسمت ابتسامة خيثة على شفتي القصير ، وانحنى على نحو واضح النفاق ، وهو يلوح بكفه ، قائلاً :

— مرحبًا بك في البلاط المؤقت للسلطان المرتقب أيها

الفارس .. تفضل ، على الرُحْب والسُّعة .

عَبَّرَ الفارس الباب في حَيْلَاء ، وناول درعه للقصير ، الذي

احتقن وجهه في شدة ، وهو يبذل أقصى جهده ؛ لحمل الدرع

الثقيل ، في حين احفظ الفارس بسيفه ونطاقه ، وهو يدير عينيه

في القاعة ، قائلاً :

— أين السلطان ؟

وضع القصير الدرع جانبًا ، وأشار إلى قاعة أخرى ،

قائلاً :

— هنا أيها الفارس .. تقدّم .

دلف الفارس إلى القاعة الثانية ، ولم يستطع منع شفّيته من الانقلاب امتعاضًا ، عندما وقع بصره على رجل بالغ البدانة ، ترك جسده الضخم يسترخى ، فوق أريكة هائلة ، وهو يلتهم قطع اللحم في شراهة ، وحوله عدد من جواربه ، يقذفون له الشراب والطعام ، ولم يكذب البدين يرى الفارس ، حتى امتلأ وجهه المكتظّ بابتسامة واسعة ، وهو يهتف :

— واعزيزى ( رودريك ) .. إننى أنتظرِكَ منذ يومين ..  
مرحبًا بك ..

اتجه إليه ( رودريك ) ، جاسوس ( قرطبة ) ، وجلس على أريكة مجاورة ، وهو يقول في استعلاء :

— أين الخريطة ؟

ابتسم البدين في نُحبث ، ولوّح بأصابعه ، قائلاً :

— ليس هكذا يا عزيزى ( رودريك ) .. فلتناول شيئًا من الشراب أولًا .

عقد ( رودريك ) حاجبيه ، وقال في صرامة :

— الخريطة أولًا .

أطلق البدين ضحكة قصيرة ، وقال :

— حسنًا يا عزيزى ( رودريك ) .. حسنًا .. لا داعى للغضب .

ثم مال نحوه ، مستطرّدًا في نُحبث :

— ولكنى أحب استرجاع بنود اتفاقنا في البداية .

رمقه ( رودريك ) بنظرة احتقار ، وهو يقول :

— لا تقلق يا رجل .. لقد وعدك السادة بأن ينصبوك

سلطانًا على ( غرناطة ) ، عندما يتمُّ لهم احتلالها ، والملوك لا يمتنون بوعودهم قطّ .

ابتسم البدين في ذهاء ، وقال :

— ربّما ، ولكنى — كما تعلم — تاجر قديم ، وليس من

السهل على تاجر مثل ، أن يركنَ إلى الوعود الشفهية .

قال ( رودريك ) في حِدّة :

— حسنًا .. ماذا تطلب في اختصار ؟

تألّقت عينا البدين في شراهة ، وهو يقول :

— عقدًا مكتوبًا .

ابتسم ( رودريك ) في سُخرية ، وقال :

— أهذا ما يرضيك حقًا ؟

هتف البدين في لُهفة :

ترجل ( فهد ) الزنجي عن جواده الأسود ، على بعد أمتار  
من دار البدين ، وأدار عينيه ووجهه الجماد فيما حوله ، ثم اتجه  
في هدوء إلى حيث يقف جواد ( رودريك ) وربت على عنق  
الجواد في رفق ، وداعب معرفته في حنان ، دفع الجواد إلى أن  
يمسح عنقه بصدر ( فهد ) القوي ، الذي نقل راحته من عنق  
الجواد إلى صدره القوي ، وبطنه ، وعجزه ، ثم تحسّس قائمته  
الخلفية اليسرى ، ورفعها في رفق ، دون أن يعترض الجواد ،  
وبخفة وسرعة ، التقط من حزامه شريحة معدنية صغيرة ، ثبثها  
أسفل حافر الجواد بقبضته ، ثم ترك الجواد يخفض قائمته ،  
وربت على بطنه وعنقه مرة أخرى ، ثم تركه واتجه إلى حيث  
يقف جواده ، وقفز يعتلى صهوته ، وأمال عيناه ، وانطلق به  
مبتعداً ..

\*\*\*

ذئبل ( رودريك ) العقد بتوقيعه ، وناوله إلى البدين ، وهو  
يقول في لهجة ، لم يحاول إخفاء الثبرة الساخرة فيها :

— ها هو ذا العقد المكتوب .

اختطف البدين العقد في لهفة ، وطالعه في شبق ، ثم طواه في  
انفعال ، وهو يملأ وجهه بابتسامة ضخمة ، هاتفاً :

— بالتأكيد .

صمت ( رودريك ) لحظات ، ثم أشار إلى الجوارى ، قائلاً :

— أتحب أن يتم هذا على الملا ؟

ابتسم البدين وقال :

— كلا بالتأكيد .

وبإشارة من يده نهضت جواربه ، وغادرن القاعة في  
سرعة ، وبقى هو مع ( رودريك ) والقصير ، وأشار  
( رودريك ) إلى القصير ، وهو يقول في استهتار :

— وهل سيقى هذا ؟

أوما البدين برأسه إيجاباً ، وقال :

— نعم .. ( سينوت ) هو ذراعى اليمنى ، وكاتم أسرارى .

ابتسم ( رودريك ) في سُخرية ، وقال :

— فليكن .. إلى برقى وقلم ، وسأمنحك العهد

المكتوب ، الذي تنشده .

ول أعمتي أعماقه ، ودون أدنى صوت ، أضاف

( رودريك ) :

— أيها الغبي الأحمق ..

\*\*\*

— تناول الشراب ، احتفالاً بتوقيع هذا ال.....

قاطع ( رودريك ) في صرامة :

— الخريطة .

لوح البدين بكفيه ، هاتفاً :

— الخريطة موجودة ، ولن تذهب بعيداً ، فقط سنحتفل ،

و.....

قاطع في حزمه :

— الخريطة أولاً .

بدا الخوف لحظة في عيني البدين ، إلا أنه لم يلبث أن ازدرد

لعبه ، وقال :

— حسناً يا عزيزي ( رودريك ) .. حسناً .. ستحصل

عليها على الفور .

ثم فرقع إصبعه ، وهو يستطرد في توكر :

( سينوت ) .

ابتسم القصر ابتسامة مُفعمّة بالخبث والغموض ، وانحنى

أمام مولاه ، ثم اتجه نحو جزء من الحائط ، يستحيل تفرقه عن

بال أجزاء الحائط ، وضغط نقوشه في خفة ، فانزاح جانباً ،

كاشفاً فجوة صغيرة ، التقط القصر من داخلها الخريطة ،

ودار على عَقِيَّه في حركة مسرحية ، بناولها لـ ( رودريك ) ،

الذي التقطها في اهتمام واضح ، وفرد لها أمام عينيه ، وبدأ شديد

الاهتمام ، وهو يطالعها ، في حين راح البدين يقول في زهو :

— إنها أدق خريطة موجودة للمواقع الدفاعية العربية ،

وبواسطتها يمكنكم التسلل بجيوشكم إلى قلب ( غرناطة ) ،

واحتلالها ، قبل أن يفتح العرب أعينهم في الصباح .

طوى ( رودريك ) الخريطة ، وهو يقول في صرامة :

— أعلم هذا .

ابتسم البدين وقال :

— رائع .. والآن سنحتفل ب.....

نهض ( رودريك ) ، قائلاً في حزم :

— لا وقت يا رجل .

هتف البدين :

— إلى أين ؟ .. إننا لم نتناول الشراب بعد ، ولم.....

قاطع في حزم صارم :

— فيما بعد .. سنحتفل قريباً بسقوط ( غرناطة ) .

والتقط درعه ، وهو يستطرد في حُفوت وسُخرية :

— وسقوط رأسك أيها الغبي .  
وفي أعماقه انطلقت ضحكة ساخرة ..

\*\*\*

« ها هو ذا .. »

نطق ( مهاب ) بالكلمة ، وهو يشير إلى دار البدين ،  
فعلقت عينا ( فارس ) بالبواب المزخرف ، وغمغم :  
— المهم أن نكون قد وصلنا في الوقت المناسب .  
جذب معرفة جواده الأبيض العربي الأصيل ، وهو  
يستطرد :

— هيا يا ( رفيق ) .

أطاعه الجواد في مرونة ، ودفع قوائمه نحو دار البدين ،  
حيث توقف شاخ الرأس ، مفروود الصدر ، وقفز ( فارس )  
عن ظهره ، وهو يقول لـ ( مهاب ) :  
— انتظر هنا ، وسأعلم أنا ما إذا كنا قد وصلنا في الوقت  
المناسب أم لا .

ودق باب البدين في حزم ..

كان ( فارس ) محط الأنظار ، منذ بلغ ( غرناطة ) مع  
( مهاب ) ، فقد بدا شديد الوسامة والقوة والثقة ، ولفت

حُلته البيضاء وخوذته الفضية انتباه الجميع ، وبدأ نطقه  
وجراب سيفه الأخضران أشبه برمز للأمل في القلوب ، خاصة  
مع ذلك الجواد الأبيض الشاهق ، الذي يعبر طرقات العاصمة  
في ضربات قوية والثقة ..

وأكثر ما جذب الأنظار إلى ( فارس ) هو أنه يمتطي جواده  
دون سرج أو لجام ..

ولقد ذكّرهم هذا بأحد أمراء ( قرطبة ) ..

بل بأعظم أمرائها ..

هذا هو نفس الانطباع ، الذي تفجّر في رأس ( سينوت )  
القصير ، عندما وقع بصره على ( فارس ) بزّيه الأبيض وخوذته  
الفضية ، ونطقه الأخضر ..  
لقد تذكّر فارسًا قديمًا ، وأميرًا صنيديًا ، كان يرتدى  
الزّي نفسه فيما مضى ..

وكان يشبه ( فارس ) كثيرًا ..

كثيرًا جدًا ..

وعلى الرغم منه ، ارتجف ( سينوت ) وصوته ، وهو  
يقول :

— ماذا تريد أيها الفارس ؟

قال ( فارس ) في حزم :

— أريد مقابلة سيّدك .

سأله ( سينوت ) في قلق :

— في أي شأن ؟

أجابه على نحو مباشر صريح :

— بشأن جاسوس من ( قرطبة ) .. يُدعى

( رودريك ) .

انتفض جسد ( سينوت ) ، وحذق لحظة في وجه

( فارس ) ، ثم ابتسم ابتسامة غامضة ، وهو يفسح في الطريق ،

قائلًا :

— تفضّل على الرّحّب والسّعة .

دلف ( فارس ) إلى الداخل ، في حين بقي ( مهاب ) أمام

الباب ، ولم يكد ( سينوت ) يفلق الباب خلف ( فارس ) ،

حتى تحسّس ( مهاب ) سيفه ، وغمغم في قلق :

— فليكن .. لا بدّ له من أن يخوض التجربة وحده .. هكذا

أشار الوزير ..

ثم تنهّد في عمق ، وجلس ينتظر ..

أمّا ( فارس ) ، فقد قاده ( سينوت ) إلى القاعة الخارجية ،

وانحنى أمامه في تملّق ، قائلًا :



وعلى الرغم منه ، ارتجف ( سينوت ) وصوته ، وهو يقول :

— ماذا تريد أيها الفارس ؟ ..

— فليتنظرنى سيدي الفارس لحظة .

ثم أسرع إلى القاعة الأخرى ، حيث يجلس البدين ، ومال على أذنه ، هامسًا في انفعال :

— هناك فارس آخر يطلب مقابلتك يا مولاي .

أشار البدين إلى جواربه بالانصراف ، ثم سأل ( سينوت ) في قلق :

— أي فارس هذا ؟

أجابه ( سينوت ) بنفس الانفعال :

— إنه فارس أبيض يا مولاي ، يرتدى نفس زي ذلك الأمير في ( قرطبة ) .

ارتجف البدين في قوة ، وحدث في وجهه ( سينوت ) في رعب ، وهتف في حُفوت :

— هل .. هل بُعثَ حيًّا ؟

هز ( سينوت ) رأسه نفيًا ، وقال :

— لا يا مولاي .. الأرجح أن هذا ابنه ، الذي اخفى

رضيقًا ، مع الوزير ، و.....

قاطع البدين في توثر :

— وماذا نفعل به ؟

أجابه في حُبث وذهاء :

— دعنا نسمح له بمقابلتك أولًا يا مولاي .

هتف البدين :

— ثم ماذا ؟

ابتسم ( سينوت ) ابتسامة ماكرة ، وقال :

— ثم يُنهي رجالنا الأمر يا مولاي .

حدث البدين في وجهه لحظة ، ثم ابتسم قائلاً :

— فليكن .. دغمة يدخل .

لم تمض لحظات حتى دلف ( فارس ) إلى الحجرة ، شاخ الرأس ، معتدل القوام ، ولم يملك البدين إلا أن يرتجف ، وهو يسأله :

— ما الذي تشده أيها الفارس ؟

وضع ( فارس ) يده على صدره ، وقال في حزم :

— اسمي ( فارس ) ، وأنا هنا لتحذيرك من التورط في خيانة

مفزعة ، لا تليق بعربي ، فلقد بلغني أنك تنتظر جاسوسًا من

( قرطبة ) ، وأنتك تنوي منحه خريطة للدفاعات العربية .

انتفض البدين في قوة ، وجرى الرعب في عروقه مجرى

الدم ، وحدث في وجهه ( فارس ) في ذُهور ، فقد كان لأسلوب

( فارس ) المباشر المفاجئ أثره العنيف في تحطيم مقاومة البدين



### ٣ — القتال ..

شعر ( مهاب ) بقلق خفي ، وهو يجلس على صهوة جواده ، في انتظار عودة ( فارس ) ، وراح يزفر في توثر ، وهو يقول لنفسه :

— ترى ماذا سيفعل الفتى ، في أول مواجهة حقيقية له ؟ ..  
صحيح أنه قد بلغ شأنا كبيرا ، في اللعب بالسيف ، وإطلاق  
النشاب ، إلا أن كل هذا لم يتخط بعد مرحلة التدريب ،  
ولا أحد يعلم ما يمكن أن يفعله في مواجهة حقيقية ، و.....

بتر عبارته بغتة ، عندما وقع بصره على أثر صغير لحوافر جواد ، أمام باب الدار ، وقد بدا أثر لشريحة معدنية صغيرة ،  
في الحافر الخلفي الأيسر ، تشبه فهذا بهم بالانقضاء ، مما دفع  
( مهاب ) إلى أن يقفز من فوق جواده ، وينحن فاحصا  
الأثر ، قبل أن يغمغم في انفعال :

— ما من شك في هذا .. لقد وضع ( فهد ) هذه العلامة ،  
ليرشدنا إلى جواد الجاسوس .

ومعنوياته ، حتى أنه راح يترجرج في شدة ، وهو يقول في  
انهيار :

— كيف !؟ .. كيف علمت كل هذا ؟ .. من أنت ؟  
تجاهل ( فارس ) هذه الأسئلة ، وهو يقول في حزم :  
— أخبرني أولا .. أوصل الجاسوس القرطبي ، ومنحته  
أنت الخريطة ، أم أنه لم يصل بعد ؟  
تردد البدين لحظات ، ثم قال ، وهو يختلس النظر إلى  
( سينوت ) ، في القاعة الأخرى :

— هذا يترقّف على .....  
بتر عبارته عند هذا الحد ، فسأله ( فارس ) في صرامة :

— على ماذا !؟  
ابتسم البدين فجأة في ارتياح ، وهو يقول :

— على هؤلاء .  
وفي نفس اللحظة ، اقتحم القاعة خمسة من الفرسان  
الأشداء ، واستل كل منهم سيفه ، في صليل قوى رثان ، امتزج  
بصوت البدين ، وهو يشير إلى ( فارس ) ، ويهتف في حدة :

— اقتلوه ..  
وكانت المواجهة ..

تابع ببصره الأثر ، الذى يمتد بعيدًا ، ثم اعتدل قائلاً فى حزم :

— وهذا يعنى أن جاسوس ( قرطبة ) قد حصل على مبتغاه ، ورحل .

ارتطم فى اعتداله بصدر رجل قوى ، فالتفت إليه مغمغماً :

— معذرة يا رجل . لم أقصد أن .....

ولكن الرجل أطلق صرخة رهبة ، واستل مع زميل له سيفيهما ، قبل أن يدرك ( مهاب ) ما يعنيه هذا ، و..... وهوى عليه نصلاً السيفين ..

\*\*\*

عقد ( فارس ) حاجبيه فى غضب ، وهو يلتفت إلى البدين ، ويقول :

— لقد أتيتك مُسالماً ، على الرغم من خيانتك لوطنك يا رجل ، فكيف تأمر رجالك بقتلى فى عُقر دراك !؟

ابتسم البدين فى سُخرية وشماتة ، وقال :

— فلتقل إننى خائن بطبعى .

تقافز الغضب من وجه ( فارس ) ، وهو يستل سيفه ، صائحاً :

— صدقت .

تراجع البدين ، وهو يصرخ برجاله مرة أخرى :

— اقلوه .. اقلوه .

وفى هذه المرة ، انقضَّ الرجال الخمسة على ( فارس ) ، الذى أطلق فى وجوههم صيحة رهبة ، ثم رفع سيفه ، وانقضَّ ..

لم يكن يحمل مِجَنًا ، يتلقى عليه ضربات سيوفهم ، ولكن هذا لم يقلقه كثيراً ، فمنذ حدائته ، لم يحمل أبداً مِجَنًا .. هكذا علّمه الشيخ ..

وهكذا درّبه ( مهاب ) ..

وبالنسبة إليه ، كان الرجال الخمسة أشبه بجلدوع الأشجار ، التى طالما دفعها ( مهاب ) نحوه ، على نحو عشوائى ، وهى مربوطة بجبال من أعلى ، وتبرز منها التّصال الحادة ..

وبنفس ثقة وحماس التدريبات ، انحنى ( فارس ) يتفادى نصل سيف ، ثم اعتدل يضرب سيفاً ثانياً بسيفه ، ويُطيح به بعيداً ، ثم مال جانباً ، متفادياً نصلاً ثالثاً ، وهوى بسيفه على السيف الرابع ، ثم دار على عَقْبَيْهِ يُطيح بالسيف الخامس فى ضربة سيف قوية عنيفة ، وبعدها قفز سيفه يميناً ويسراً ،

وأطاح بالسيفين الباقيين ، وأطلق صيحة أخرى ، ثم لَوَّح بسيفه  
في الهواء ، في مهارة مخيفة ، قبل أن يعيده إلى غمده في قوة ،  
ويقول في صرامة :

— لسم أهلاً لنزالي .

شُحِبَتْ وجوه الفرسان الخمسة ، الذين فقدوا سيوفهم في  
لحظات ، والتصق ( سينوت ) بالحائط ، وقد نُحِيل إليه أن أمير  
( قرطبة ) الراحل قد بُعث حياً ، وراح يقاتل حُصومة في هذا  
الجيل ، كما كان يقاتلهم قديماً ، قبيل سقوط ( قرطبة ) ..

أما البدين ، فقد اتسعت عيناه في رُعب ، وانقلبت سيخنته  
في فَرْع ، وهو يلَوِّح بكفِّيه ، قائلاً :

— لا .. لا تقرب مني .. لا .

التفت ( فارس ) إلى الرجال الخمسة ، الذين تجمّدت  
الدماء في عروقهم ، وهم يتطلعون إلى ملامحه الصارمة ،  
ويستمعون إلى صوته الحازم ، وهو يقول :

— انصرفوا .

أسرعوا يفادرون القاعة ، كأغما أشباح الدنيا كلها  
تطاردهم ، وهم يتحذرون في أقدام بعضهم البعض ، في حين عاد  
( فارس ) يواجه البدين ، وهو يقول في نفس فجته الصارمة  
الخريفة :

— هل أعطيت الخريطة للجاسوس ؟

لَوَّح البدين بكفِّيه ، وهو يهتف في رُعب :

— الرُّحمة !! لقد أجبرني .. لم أستطع مقاومته .. لم ..

تقدّم ( فارس ) نحوه في حركة حادّة ، وأمسك بتلابيه ،

وحذق في عينيه مباشرة ، وهو يسأله :

— متى رحل أيها الخائن القدر ؟

صاح البدين في ارتياح :

— منذ قليل ، عندما كانت الشمس في أعلى جبال

( سيرانيقادا ) تماماً .

دفعه ( فارس ) في ازدراء ، وهو يقول :

— أيها الحقير .

سقط البدين أرضاً ، وسقطت منه الرُّقعة ، التي تحوى

عقده المكتوب مع ( رودريك ) ، فعقد ( فارس ) حاجبيه ،

وهو يلتقطها ، قائلاً :

— ما هذا ؟

ارتجف البدين في رُعب هائل ، وحاول اختطاف الرُّقعة من

يد ( فارس ) وهو يصرخ ملتاغاً :

— لا .. لا .. اتركها لي .

دفعه ( فارس ) جانبًا في احتقار ، وفرض الرُّقعة ، وقرأ  
محتوياتها في سرعة ، ثم هتف في غضب :

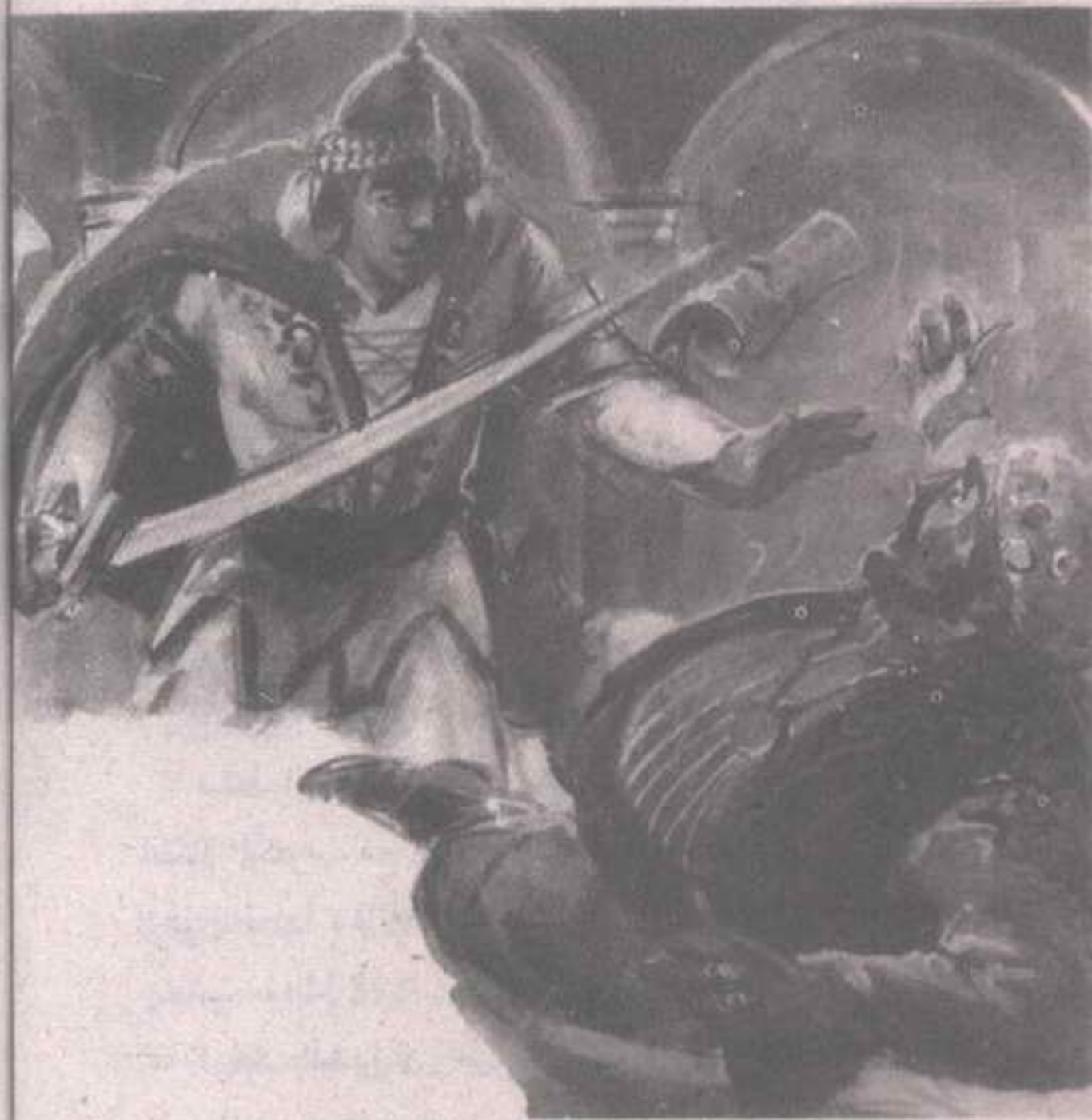
— سلطنة ( غرناطة ) !؟ .. أبعث وطنك من أجل هدف  
تأفه بعيد المنال كهذا ؟ .. أتصورتهم ينحونك ما يقاتلون  
لانتزاعه متًا ؟

ثم ألقى الرُّقعة عاليًا ، واستل سيفه بحركة سريعة ، وهوى به  
على الرُّقعة مرتين ، فقسمها إلى أربعة أجزاء ، وتركها تسقط  
أرضًا ، وهو يعيد سيفه إلى غمده ، مستطرًا :  
— حقير .

ثم دار على عقبه ، وغادر القاعة في شموخ ، وقد سجل فيها  
أول انتصاراته العملية ..  
ودون أن يريق قطرة واحدة من الدماء ..  
أو من الكرامة ..

\*\*\*

فوجئ ( مهاب ) تمامًا بهجوم الرجلين ، وبسيفيهما  
مشهورين في وجهه ، إلا أن فارسًا قديمًا مثله ، لم يكن ليبتز  
أوينهار ، أمام هجوم رجلين ، حتى ولو كان عاصفًا مباغتًا ..



سقط البدين أرضًا ، وسقطت منه الرُّقعة ، التي  
تخوي غمده المكتوب مع ( رودريك ) ..

لقد استل سيفه في سرعة مذهشة ، واستقبل على نصله نصل  
سيف أحد المهاجمين ، وهو يضرب صدر المهاجم الآخر  
بقدمه ، ثم طوح سيفه ليطيح بسيف المقاتل الأول ، وأدار نصله  
في سرعة ومهارة ، ليهوي به على سيف الثاني ، إلا أن المقاتل  
الثاني تراجع في خفة الشباب ، وهو يقول في سُخرية :

— أخطأت أيها الكهل .

ورفع سيفه عاليًا ، وهو يستطرد في قوة :

— وهذا هو خطوك الأخير .

وفجأة ، وقبل أن يهوي سيفه على رأس ( مهاب ) ،

أمسكت يد قوية معصمه من الخلف ، وسمع الرجل صوتًا  
صارمًا يقول :

— حقًا !؟

وبقوة لم يعهد لها الرجل من قبل ، انتزع منه ( فارس )

سيفه ، وألقاه بعيدًا ، ثم دفع الرجل ، قائلًا في حزم :

— هيا .. اذهب .

نهض الرجلان ، وأسرعوا يتعدان في خوف ، في حين هتف

( مهاب ) :

— يا إلهي !.. لقد وصلت في الوقت المناسب .

قال ( فارس ) في ضيق :

— ربما ينطبق هذا عليك يا صديقي ، أما بالنسبة لجاسوس

( قرطبة ) ، فقد وصلنا متأخرين .. لقد حصل على الخريطة

وانصرف .

ابتسم ( مهاب ) ، وقال وهو يعيد سيفه إلى غمده :

— اطمئن .. إنه لم يذهب بعيدًا .

سأله ( فارس ) في دهشة :

— كيف عرفت هذا ؟

أشار ( مهاب ) إلى آثار حوافر جواد ( رودريك ) ، وهو

يقول :

— لقد ترك لنا ( فهد ) أثرًا نتبعه ، في حوافر جواد

الجاسوس ، والأثر أمام الباب يشير إلى أن ( رودريك ) قد

انصرف منذ دقائق قليلة .

عقد ( فارس ) حاجبيه ، وهو يتطلع إلى الأثر الواضح ، ثم

رفع عينيه إلى ( مهاب ) ، وقال في ضيق :

— وكيف بلغ ( فهد ) هذا المكان قبلنا ؟ .. وما الذي يفعله

الآن ؟

ابتسم ( مهاب ) ابتسامة غامضة ، وقال :

— لا تفلق نفسك بشأن ( فهد ) .. إنك ستجده دائمًا أينما  
وحيثما ينبغي لك أن تجده ، وكلما احتجت إلى وجوده .

هتف في جدّة :

— ولكن من هو بالضبط ؟

قفز ( مهاب ) على صهوة جواده ، وهو يقول :

— لا تحاول التفكير في هذا .. هيّا بنا .

وثب ( فارس ) على صهوة جواده بدؤره ، وجذب معرفته

البيضاء الناعمة ، و ( مهاب ) يسأله :

— هل أخيرك التاجر بما تريد ، دون مقاومة ؟

أجاب ( فارس ) ، وهو يراقب آثار حوافر جواد

( رودريك ) في اهتمام :

— لا .. لقد أمر خمسة من رجاله بقتلي .

سأله ( مهاب ) في دهشة :

— وماذا فعلت ؟

هزّ ( فارس ) كفيه في لامبالاة ، وأجاب :

— لقد جرّدتهم من سيوفهم ، وأمرتهم بالرحيل .

اتسعت عينا ( مهاب ) ، وهتف :

— أمرتهم بالرحيل؟! .. أتغني أنك قد هزمت خمسة من

الفرسان ، دون أن تقتل أحدهم !؟

هزّ ( فارس ) كفيه مرّة أخرى ، وقال :

— وماذا في ذلك؟! .. أنت تعلم أنني أكره إراقة الدماء .

أطلق ( مهاب ) ضحكة عالية ، وربّت على كصف

( فارس ) ، وهو يهتف في حرارة وحماس :

— هكذا؟! .. بكل البساطة؟! .. ما أروعك يا ( فارس )!!

رحم الله والدك .

التفت إليه ( فارس ) في حركة حادّة ، وهو يقول في لهفة :

— والدي؟! أخبرني يا ( مهاب ) .. ما الذي تعلمه عن

والدي ؟

أثارت ابتسامة ( مهاب ) الحزينة خيرته ، وهذا الأخير

يقول في حُفوت :

— لا تُلّق هذا السؤال مرّة أخرى يا ( فارس ) .. لم يحن

وقت المعرفة بعد .

ثم ربّت على كفه مرّة أخرى ، مستطرذا :

— والآن هيّا نلحق بالجاسوس ، قبل أن يخترق الأعداء

درع ( الأندلس ) .

اعتدل ( فارس ) على صهوة جواده ، وجذب معرفته ،

قائلًا في حزم :

— اسمعني جيّدًا يا ( سينوت ) .. لُحِذْ أقوى جواد لدينا ،  
وانطلق إلى خان ( الوادي الكبير ) ، حيث سيقضي  
( رودريك ) ليلته ، وأبلغه بما حدث ، واطلب منه أن يتخذ  
الحذر ، وأن يفعل ما بوسعه للقضاء على خصميه .

ابتسم ( سينوت ) في دهاء ، وقال :

— كما تأمر يا سيدي .

وانطلق ؛ لتففيذ الأمر ، حاملاً معه كل بغضه وكرهيته ..  
ويحتجراً مسموماً ..

\*\*\*



— نعم .. هيّا بنا ..

وانطلق الاثنان خلف الجاسوس ..

\*\*\*

هرع ( سينوت ) إلى سيّده البدين ، وهتف به في هَلَع :

— مولاي .. لقد انطلق الفارس الأبيض مع رفيقه ، خلف

( رودريك ) ، فلقد أضاف رفيق لهم — حسبما سمعت — إشارة

خاصة إلى حوافر جواد القرطبي .

هتف البدين في جَزَع :

— ماذا!؟ .. لو أنهم لحقوا بـ ( رودريك ) ، واستعادوا

منه الخريطة ، فستكون في هذا نهاية أحلامي ، وخطّط

مستقبلي .

ثم أمسك كتف ( سينوت ) في قوة ، مستطرّداً في انفعال :

— اسمع يا ( سينوت ) .. لا بدّ من التخلص من الفارس

الأبيض وزميله ، وإنقاذ ( رودريك ) ، وضمان وصول

الخريطة إلى ( قشتالة ) في الوقت ذاته .

مال ( سينوت ) نحوه ، وسأله في اهتمام :

— وبمّ يأمر سيدي ومولاي ؟

مال البدين نحوه بدوْره ، وقال في توثر بالغ :

## ٤ — المطاردة ..

ترجل ( رودريك ) عن جواده ، عند خان ( الوادى الكبير ) ، وربت على عنق الجواد ، وتحسّس سرجه لحظة ، ثم التفت بحركة حادة مباغته إلى الطريق ، وامتلات نفسه بالحنق ، عندما بدا له الطريق خاليًا ساكنًا ، وغمغم في سُخط :

— عجبًا !! .. أكاد أقسم بأنى قد لحت زنجيًا على جواد أسود ، يتبعنى بعض الطريق !! .. إن وقع حوافر جواده لم يتلاش من أذنى بعد !!

ألقى نظرة أخرى طويلة على الطريق الساكن ، ثم دفع بوابة الحان ، وهتف فى صرامة :

— من هنا ؟

برزت من باب جانبي عجوز ضئيلة ، ارتسمت على وجهها القبيح ابتسامة مقبته ، وهى تفرك كفيها ، قائلة :

— خادمك ( راشيل ) يا سيد الفرسان .

لوح بكفه ، وهو يقول فى غطرسة :

— أرسلى من يعنى بجوادى ويطعمه أيتها العجوز ، وأعدى لى حجرة نظيفة ، وكثيرًا من الماء الساخن ، وزجاجتين من أفضل أنواع الشراب البارد لديك .. هذا لو أن لديكم هنا شرابًا جيدًا .

كان من الواضح ، من زيّه الفاخر ، وجواده المسرج فى عناية ، أنه بالغ الثراء ؛ لذا فقد انحنت العجوز انحناءة كبيرة ، كادت تضرب رأسها بالأرض ، وهى تقول :

— سمعا وطاعة يا سيد الفرسان .

ثم ضربت جرسًا نحاسيًا أمامها ، فظهر شاب مفتول العضلات ، له لحية كثة ، أشارت إليه العجوز ، قائلة :

— أخذ السيد إلى أفضل حجراتنا يا ( ليقى ) ، وأرسل ( حزقيال ) للعناية بجواده .

صعد ( ليقى ) بـ ( رودريك ) إلى حجرتة ، التى بدت نظيفة ، على الرغم من تهالك أثاثها ، ورمق ( ليقى ) ( رودريك ) بنظرة خاصة ، وهو يقول :

— إنها ليست أفضل حجراتنا فى الواقع ، إلا أن لها نافذة تطلّ على الطريق ، وتتيح مراقبته على نحو جيد ، وبأبنا جانبيًا ، يسمح بالفرار عند اللزوم .



تطلع إليه ( رودريك ) طويلًا ، ثم ابتسم قائلاً :  
— من الواضح أنك شاب ذكي ، ولكن كيف أمكنك تخمين هذا ؟

ابتسم ( ليفي ) ابتسامة باهتة ، وقال :

— إنه ليس تخمينًا يا سيدي ، وإنما نوع من الاستبطاء والفراسة ، فعلى الرغم من إجادتك للعربية ، إلا أن لكنتك الإسبانية واضحة .

قال ( رودريك ) ، وهو يتطلع إليه في شيء من الإعجاب :  
— ولكن الكثيرين هنا كذلك ، وخاصة بعد الاختلاط والزواج بين العرب والأسبان ، طوال ثمانية قرون .

هز ( ليفي ) رأسه نفيًا ، وقال :

— هناك فارق صغير ، قد لا يلاحظه أغلب الأندلسيين ،

إلا أنني أنتبه إليه دائمًا .

قال ( رودريك ) في انقباض :

— رالع .

ثم استطرد في حزم ، مواجهًا ( ليفي ) :

— اسمع أيها الشاب .. أنت من النوع الذي يروق لي ،

ويمكنك معي أن تربح الكثير ، لو وضعت نفسك في خدمتي .

أجابه ( ليفي ) ، وعينه تبرقان جشعًا :

— أنا رهن إشارتك يا سيدي .

ابتسم ( رودريك ) في ثقة ، وقال :

— عظيم أيها الشاب .. ابني مستيقظًا إذن ، وأرهف سمعك

جيدًا ، فقد أحتاج إليك ، قبل شروق الشمس .

كرّر ( ليفي ) في حماس :

— ستجدني رهن إشارتك يا سيدي .

لم يكذب يتم عبارته ، حتى سمع دقات متوترة على باب

الحجرة ، فاستلّ خنجره ، وتطلع إلى ( رودريك ) منتظرًا

أوامره ، إلا أن ( رودريك ) أزاحه جانبًا في صرامة ، وهو

يقول :

— من بالباب ؟

أتاه صوت مرتجف يقول :

— إنه أنا يا سيدي .. ( سينوت ) .

هتف ( رودريك ) في دهشة ، وهو يفتح الباب :

— ما الذي أتى بك يا ( سينوت ) ؟ .. وكيف بلغت هذا

المكان ؟

كان ( سينوت ) يلهث ، وقد شُحِب وجهه من فرط

الإرهاق والتعب ، وهو يجيب بكلمات مرتجفة :

— إننى أركض بجوادى طيلة النهار يا سيدي ، ولم أتوقف لحظة واحدة ، والجواد يكاد يلفظ أنفاسه الأخيرة ، من قرط التعب والإرهاق ، وكل هذا لِلْحَاقِ بِكَ ، قبل أن ييلغك الفارس الأبيض وزميله .

هتف ( رودريك ) فى دهشة :

— الفارس الأبيض وزميله !؟ .. ماذا تعنى يا رجل ؟

ألقى ( سينوت ) نظرة حذرة على ( ليقى ) ، فقال ( رودريك ) فى عصبية :

— هات ما لديك .

راح ( سينوت ) يقصّ عليه القصة كلها ، حتى انتهى منها ، وأضاف :

— إنهم يتبعون الأثر ، الذى تركه صاحبهم فى حوافر جوادك ، أما أنا فقد انطلقت إلى هنا مباشرة ، ولهذا سبقتهم ، ولا ريب أنهم سيصلون بعد قليل .

عقد ( رودريك ) حاجبيه ، وراح يفكر فى عمق وصمت ، فى حين سأله ( سينوت ) فى توتر :

— ماذا ستفعل يا سيدي ؟

صاح به ( رودريك ) فى صرامة :

— اصمت .

ثم اتجه نحو نافذة الحجرة ، وتطلّع منها إلى الطريق ، الذى راحت ملامحه تتلاشى مع غروب الشمس ، وصمت لحظات طويلة ، ثم التفت إلى ( ليقى ) ، وقال فى حسم :

— اسمع أيها الشاب .. أريد جوادًا قويًا ، وعشرة رجال أشداء ، لا يتردّد أضعفهم فى الفتك برضيع وحيد ، لو نال ثمنًا جيدًا لهذا .

أجابه ( ليقى ) فى حزم :

— السَّمْعُ والطَّاعَةُ يا سيدي .

ألقى إليه ( رودريك ) بصرة من العملات الذهبية ، وهو يقول فى حزم :

— هيا .. اذهب .. وأريد الجواد أولًا .

الحنى ( ليقى ) فى شدة ، وقد أعماه بريق الذهب تمامًا ، وانطلق لتنفيذ الأمر ، فى حين عاد ( سينوت ) يسأل ( رودريك ) فى خيرة :

— ماذا ستفعل يا سيدي ؟

ابتسم ( رودريك ) ابتسامة خبيثة ، وقال :

— سنعدّ لفارسك الأبيض ورفيقه حفل استقبال جيدًا يا رجل ..



وفجأة ، شق سهم الهواء ، وانغرس في كتف ( مهاب ) من الخلف ..

واتسعت ابتسامته الماكرة ، وهو يضيف :  
— حفلاً أخيراً ..

\*\*\*

أشار ( مهاب ) إلى الجواد الأسود ، ذى البقع البيضاء ،  
الذى يقف أمام خان الوادى الكبير ، وهو يقول لـ ( فارس ) :  
— يبدو أن هذا هو جواده ، فالأثر ينتهى هنا .

اقرب الاثنان من الخان ، وترجلا عن جواديهما ، واقرب  
( مهاب ) من جواد ( رودريك ) ، ورفع قائمته الخلفية  
اليسرى ، وأشار إلى تلك الشريحة المعدنية المثبتة فى الحافر ،  
والتي تشبه فهذا يهيم بالانقضاض ، وقال فى ارتياح :  
— إنه جواده بالفعل .

رفع ( فارس ) عينيه ، يدرس الخان فى هدوء ، ثم قال :  
— إذن فسيقى ليته هنا .

ثم تقدّم مع ( مهاب ) نحو الخان ، مستطرذاً فى حزم :  
— سيندم على هذا أشد الندم .

ودفع باب الخان ..

وفجأة ، شق سهم الهواء ، وانغرس فى كتف ( مهاب ) من  
الخلف ، فأطلق هذا الأخير شهقة ألم ، وهتف وهو يتشبث  
بذراع ( فارس ) :

— إنه فتح .. احترس ..

وفي نفس اللحظة انقضت عشرة رجال على ( فارس ) ، من كل جانب ، وهم يطلقون صرخات قتالية مخيفة ، اختلطت بضحكة ساخرة ، من أعلى الحان ..  
ضحكة شيطان ..

\*\*\*

ما من شك في أن منشأ ( فارس ) وتربيته لم يكونا عظيمين أو عاديين ، فلقد نشأ الفتى على يد شيخ حكيم ، وفارس من أشجع وأقوى فرسان عصره ، وتلقى تدريبات قتالية مكثفة ومدروسة ، طيلة عشرين عامًا كاملة ..

وشاب نشأ هكذا ، لا يهاب الخطر أو الموت أبدًا ..

وعندما انقضت الرجال العشرة على ( فارس ) ، وهم يطلقون صرخاتهم المخيفة ، كانوا يتصورون أن صرخاتهم ، ومفاجأتهم ستحطمان مقاومة خصمهم تمامًا ، خاصة عندما يقاتل وحده عشرة رجال ..

ولكن هيات ..

لقد قُد ( فارس ) من صخر غير قابل للكسر ..

من صخر ( الأندلس ) ..

ولقد جاوب ( فارس ) صرخات الرجال العشرة بصيحة هائلة ، تزلزلت لها قلوبهم ، وهو يستل سيفه ، وينقض بذوره عليهم كأسد هصور ، وليثٍ ضرغام ..

وفي هذه المرة ، لم يحاول ( فارس ) المحافظة على الدماء ..

بل أراق دماء الخونة بلا تردد ..

أراقها دفاعًا عن حياته ..

وانتقامًا لصديقه ومدربه ..

وراح سيفه يضرب الصدور والأعناق بلا تردد أو رحمة ..

وأصابت ذبابة سيف ذراعه ، ومزقت شيئًا من حُلته

البيضاء ، ولوثتها ببعض دمه ..

ونفض ( مهاب ) يلتقط سيفه يسراه ، صائحًا :

— لن تهزم الخيانة الشرف أبدًا ..

ضرب أحد الرجال العشرة بسيفه ، وتلقى على نصله ضربة

سيف آخر ، وبداله ( فارس ) كبطل أسطوري ، يحطم

أعداءه ، وينهوى على أعناقهم بسيفه ، ويُطرح بنيوفهم

ودروعهم ..

ثم أصيب ( مهاب ) في صدره ، وذراعه ، وفخذيه ..

وسقط البطل على ركبتيه ، وسمع ( فارس ) يصيح به ، وهو

يواصل قتاله :

— انهض يا صديقي .. انهض .. لا تسقط أمام هؤلاء الأوغاد .. مهما كان الثمن .

ولكن فجأة ، سقطت شبكة قوية فوق ( فارس ) ، وارتفع من أعلى الخان صوت ( ليفي ) ، وهو يهتف :  
— لقد أوقعت به .. اقتنصوه بسرعة .

اندفع من تبقى من الرجال العشرة نحو ( فارس ) ، الذي راح يقاوم الشبكة الثقيلة في عُنف ، ويضرب ويدافع بسيفه في الوقت ذاته ..

ومن أعلى راح ( ليفي ) يصرخ :

— أوقفوه .. اجذبوا الشبكة .

تكالب أربعة منهم ، وجذبوا الشبكة من أسفل في عُنف ، فاختل توازن ( فارس ) ، على الرغم منه ، وسقط على ظهره ، وقفز فوقه رجلان ، حاولا شل حركته ، وهو يضرب بسيفه ، ويضرب . ولكن الكثرة تغلب الشجاعة ولا شك ..

وكبّل الرجال ( فارس ) في إحكام ، وانتزع أحدهم سيفه ، وبذل ( مهاب ) أقصى جهده ، لينهض مدافعاً عن تلميذه وصديقه ، وهو يهتف :

— أيها الأوغاد .. أين ذهب شرفكم ؟ .. أين ال ..

هوت على رأسه ضربة قوية ، مع صوت غليظ يقول :

— اصمت يا رجل .. لقد انتهى أمركما .

كانت الضربة قوية عنيفة ، حتى أن ( مهاب ) قد سقط وانكفاً على وجهه أرضاً ، وأظلمت الدنيا أمام عينيه ، و..... وفقد الوعي ..

وعندما سقط منظر حراً على ظهره ، رأى ( فارس ) ( سينوت ) يهبط من الطابق العلوي ، ويتسم في سُخرية ، قائلاً :

— خسرت هذه المرة أيها الفارس الأبيض .. ستصل الخريطة إلى ( قرطبة ) في موعدها .. ولكنك ستصل قبلها إلى الجحيم . هتف به ( فارس ) في صرامة :

— لا يذهب إلى الجحيم سوى الخونة والكافرين أيها القدر . أطلق ( سينوت ) ضحكة ساخرة ، وقال :

— لن نلتقي أبداً إذن .

ثم أشار بيده إلى أحد الرجال ، مستطرداً في حزم :

— هيا .. فلنته من هذا الأمر .

رفع الرجل سيفه عاليًا ، وهتف بصوت غليظ :

— سينزف عنقه المقطوع كثيرًا ، وسيلوث حُلته البيضاء الأنيقة .

ثم أطلق ضحكة شيطانية ، وهوى بسيفه على عنق ( فارس ) ..

وبلا تردّد ..

\*\*\*

الحنى قائد الحرس الملكى لى ( قشتالة ) المناعة كبيرة ، أمام  
عرش الملكة ( إيزابيلا ) ، التى أشارت إليه بالاحمدال ، وسألته  
فى تبرُّع :

— أمان أخبار عن ( رودريك ) ؟

أجابها قائد الحرس الملكى فى احترام وتبجيل :

— وصلت رسالة بوساطة الحمام الزاجل (\*) ، تقول إنه قد

بلغ خان ( الوادى الكبير ) .

سألته فى اهتمام بالغ :

— هل حصل على الخريطة ؟

أوما برأسه إيجاباً ، وهو يقول :

(\*) الحمام الزاجل : هو نوع من الحمام الخاص بنقل الرسائل ،  
حيث إنه يستطيع العودة إلى وطنه ، مهما بعدت المسافة ، ويطير ألف  
كيلومتر بلا انقطاع ، وبسرعة كيلومتر فى الدقيقة ، وهو قوى الجسم ،  
عريض المنقار ، يعطى الزوج منه سنوياً تسعة أزواج من الزغاليل .

— نعم يامولاتى .. لقد حصل عليها .

ابتسمت فى ارتياح ، وأشارت إليه قائلة :

— حسناً .. انصرف أنت .

لم يكذب يغادر قاعة العرش ، حتى التفتت الملكة إلى فتاة  
باهرة الحسن ، رائعة الجمال ، جمعت فى فنتها ما بين الجمال  
الأسباني — المتمثل فى شعرها الطويل ، المنسدل على  
كفئها ، وحتى وسطها ، فى نعومة ودلال ، وعينها السوداوين  
برموشهما الطويلة الآسرة ، وبشرتها البيضاء — والشموخ  
العربى ، بأنفها المرتفع وكبريائها الواضحة .. وقالت الملكة  
مبتسمة فى نجبث :

— أراهن أنك تنتظرين عودة ( رودريك ) بفارغ الصبر .

لم يبد الحجل على وجه الحسناء ، وهى تجيب :

— إلى حدّ ما .

تأمّلت الملكة جمال الحسناء ، وقالت :

— هل تحببينه يا ( غالا ) ؟

لم تبد لها ابتسامة ( غالا ) طبيعية ، وهى تجيب :

— أعتقد ذلك يامولاتى .

عقدت الملكة ( إيزابيلا ) حاجبها ، وهى تتأمّلها ملياً ، ثم

لم تلبث أن هزّت رأسها ، وقالت :

— أتعلمين يا ( غالا ) .. إنك و ( رودريك ) تبدؤان لي  
متناسبين تمامًا .

سألها ( غالا ) بابتسامة باهتة :

— لماذا يا مولاتي ؟

عادت الملكة تهز رأسها ، وتقول :

— لأنكما من نفس النوع يا ( غالا ) .. النوع الذى  
لا يفكر إلا في نفسه ، وفي رغباته ، فأنا و ( فرناندو ) واثقين  
من أنه ما كان ليخاطر بحياته هكذا ، لولا المكافأة الضخمة ،  
التي وعده بها الملك .

قالت ( غالا ) في هدوء :

— أليس من الطبيعي أن يسعى المرء خلف ما يربحه ؟

مطت ( إيزابيلا ) شفتيها ، وقالت :

— في هذا يختلف عن العرب يا ( غالا ) ، فهم يقاتلون من

أجل مبادئهم ، أو إعلاء كلمة دينهم وقيمهم .

ابتسمت ( غالا ) في هدوء ، وقالت :

— هذا يعنى أننا لا نختلف عنهم شيئاً يا مولاتي .

قالت ( إيزابيلا ) في عصبية :

— بل نختلف عنهم كثيرًا .

هزت ( غالا ) رأسها نفيًا ، وقالت :

— على العكس يا مولاتي .. إن كل إنسان يسعى خلف  
ربحه ، ولكن ليس من الضروري أن يكون هذا الربح ماديًا ،  
بل قد يكون معنويًا .

رمقتها الملكة بنظرة طويلة ، قبل أن تقول :

— أراك قد تحولت إلى فيلسوفة يا ( غالا ) !

انحنت ( غالا ) أمامها ، وهي تبسم في نجس ، قائلة :

— خادمك المتواضعة يا مولاتي .

هتفت بها الملكة في فضول :

— وأيهما تفضلين يا ( غالا ) .. الربح المادى أم المعنوى ؟

لم تفكر ( غالا ) لحظة واحدة ، وإنما أجابت على الفور :

— مزيج منهما يا مولاتي .. إننى أفضل الكثير من الربح

المادى ، مع شيء من ال .....

بترت عبارتها لحظة ، ثم أردفت في صوت يحمل رثة جدل

ضاحكة :

— من الحب .

وفي تلك اللحظة شعرت الملكة بالقلق من وصفتها الأولى ..

وبالحوف ...

والتفتت كل العيون إلى القبضة القوية المسكة بالسيف ،  
ثم إلى الذراع المفتولة العضلات ، وإلى صاحبها الزنجي القوي ،  
الصارم الملاح ، ذى العينين الشبيبتين بعيني الفهد ..  
وارتجفت القلوب ..

وقبل أن يتلاشى صدى صليل السيوف ، امتزج بزئير  
( فهد ) ، الذى رفع سيفه فى قوة ، مُطِيحًا بالسيف القاتل  
بهيذا ، ثم هوى بسيفه على عنق أقرب الرجال إليه ، وأدار  
السيف فى قوة وسرعة ومهارة ، وضرب به الشبكة القوية أربع  
ضربات سريعة ، مزقت حبالها إربًا ، دون أن تمس ذبابة سيفه  
شعرة واحدة من ( فارس ) ..

ثم عاد سيف ( فهد ) إلى القتال ..  
وقفز ( فارس ) من الشبكة ، بعد أن تحرر من قيوده ، ورفع  
سيفه بذوره ، وانقضَّ على خصومه ..

وكانت مبارزة رهيبية ، بين رجلين ، وعشرة أوغاد ..  
والمعجب أن الناظر إلى المعركة ، كان يرى أمرًا غريبًا ؛  
فلقد كان الرجال يتزاجعون فى خوف ، أمام سيفى ( فارس )  
و ( فهد ) ، على الرغم من أنهم يفوقونهما عددًا بأربعة  
أضعاف ..

« من لا يهاب الموت ، يهابه الموت .. » ..  
عبارة طالما رددها الشيخ على مسامع ( فارس ) ..  
وطالما حفظها ورددها خلفه بذوره ..  
ولكنه لم يتحقق منها أبدًا ..  
حتى هذه اللحظة ..

لقد هوى السيف على عنق ( فارس ) بلا رحمة ، وبطلنا  
تكبل حركته شبكة ثقيلة من حبال قوية ، وأذرع رجال  
أشداء ..

والموقف كله يُوجى بأنه لا أمل فى النجاة ..  
إلا إذا ..

وعند حرف الاستثناء ( إلا ) هذا تنقلب كل الأمور ..  
وهذا ما حدث بالفعل ..  
لقد هوى السيف ، حتى أصبح على قيد بوصات من عنق  
( فارس ) ، ثم تبدلت الأمور كلها دفعة واحدة ..  
وعلى نحو لم يتوقعه مخلوق واحد ..

فجأة ، اندفع سيف قوى يستقبل نصل السيف القاتل ،  
ليلتقى الاثنان فى ضربة عنيفة ، وبصليل قوى ، تردّد صداه فى  
الحان طويلًا ..



صمتا لحظات ، وهو يتطلع إلى عينيها الصارمتين ، ثم  
أجاب :

— أفهم يا أمّاه .

• قالت في حزم :

— ردّد خلفي .. سأبذل ما بوسعي لتصل الخريطة إلى  
( قرطبة ) .

ردّد في حماس :

— سأفعل .

رَبَّتْ على كفه ، قائلة :

— حسنًا .. انطلق إذن ، قبل أن ينتهي القتال ، فلست أظنّه

يُخَسِّمُ لصالحنا ..

سألها في قلق :

— ولكن ماذا ستفعلين أنت ؟

أجابته في صرامة ، لا تناسب عمرها :

— اطمئن .

ثم انتزعت من حائط القبو سكينًا حادّة ، ورفعتها  
مستطرده :

ولكن صوت السيوف كان يطفى على صوت العقول ..  
لقد راح ( فهد ) و ( فارس ) يذوران ويصولان  
ويجولان ، وسيفالهما يرتفعان وينخفضان ، ويهويان ويضربان  
في سرعة ، وشجاعة ، وبأس ..

وارتجفت المعجوز ( راشيل ) ، وهي تشاهد ما يحدث ،  
وارتجف ابنها ( ليقي ) ، في الطابق العلوي ، فأشارت هي إليه  
أن يلحق بها في قبو الحان ، فأسرع يهبط إليها من سلّم خلفي ،  
وهتف بها في رُعب :

— أمّاه .. إنهما يقاتلان كأسدين .. لقد فقدنا أربعة رجال  
حتى هذه اللحظة .

أجابته في صرامة :

— لا ترتجف هكذا كالنساء .. أنت تعلم ضرورة أن يربح  
( القشتاليون ) المعركة ، فارتفاع هامة العرب يقضى على هامتنا  
نحن ، ويمنعنا من تحقيق حلم بلوغ أرض الميعاد .

تمتم :

— أعلم يا أمّاه .

أمسكت كفه في حزم ، قائلة :

— من الضروري إذن أن ينجح ( رودريك ) في بلوغ  
( قرطبة ) .. هل تفهم ؟

— أمك تعرف من أين تؤكل الكتف .  
وأطلقت ضحكة شيطانية مخيفة ..

\*\*\*

شارف القتال نهايته في الخان ، فلقد سقط ثمانية من الرجال ، الذين استأجرهم ( رودريك ) ، وبقي الثمان ، أمام سيفي ( فهد ) و ( فارس ) ..  
وأدرك الرجلان أنه لا أمل لديهما ، أمام سيفين عربيين مثلهما ، فألقى أحدهما سيفه ، وهتف في رُعب :

— الرُّحمة !! الرُّحمة !!

وكأنما كانت هذه إشارة لزميله ، الذي ألقى سيفه بدوره ، وهتف :

— إننا نستسلم يا سادة العرب .

أعاد ( فهد ) سيفه إلى غمده على الفور ، في حين قلب ( فارس ) شفتيه ، وغمغم في ازدياء :

— يا للحقارة والجبن !

رفع ( فهد ) عينيه إلى أعلى ، ثم رفع يده يشير إلى أعلى السُّلم ، فتبع ( فارس ) إشارته ، وهتف :

— هذا الوغد !!

كان ( فهد ) يشير إلى ( سينوت ) ، الذي ألقى الرُّعب الهائل بالحائط ، منذ بدأ القتال ، ومنذ ظهر ( فهد ) ، دون أن يجرؤ على تحريك أنامله قيد أنملة ..

وعندما قفز ( فارس ) إلى السُّلم ، ليبلغ ( سينوت ) ، انحلَّ تسمُّر هذا الأخير ، وانتفض انتفاضة عنيفة ، وأطلق صرخة رُعب ، ثم انطلق يعدو محاولاً الفرار ، إلا أن ( فارس ) لحق به ، فانهار ( سينوت ) جاثياً على ركبتيه ، وهتف في ارتياح وضراعة :

— الرُّحمة يا فارس الفرسان !! الرُّحمة !!

وضع فارس سيفه على عنق ( سينوت ) ، وهو يقول في صرامة :

— أين ذهب ( رودريك ) ؟ .. وماذا فعل بالخریطة ؟

هتف ( سينوت ) في رُعب :

— لا يمكنني أن أخبرك .. سيقتلونني لو فعلت .. لا يمكنني .

زجر ( فارس ) ، وهو يقول في لهجة صارمة مخيفة :

— ستخبرني أيها الوغد ، وإلا بترت عنقك النحيل هذا من قاعدته ، بضربة سيف واحدة .

جحظت عينا ( سينوت ) ، ودارتا في محجريهما ، من شدة  
الرُعب ، وبدا من الواضح أنه نية لشقّين من الفرع الهائل ،  
وأله يعجز عن اتخاذ قراره ، بالبُوح بما لديه ، خشية شيء ما ،  
جعل ( فارس ) يهتف به :

— ما الذي تخشاه أكثر من الموت يا رجل ؟

البعثت ضحكة المعجوز من أسفل ، وهي تهتف :  
— العذاب .

التفت إليها ( فارس ) و ( فهد ) في حركة حاذة ، ورأياها  
تجلس إلى جوار ( مهاب ) الفاقد الوعي ، وبيدها سكين  
حاذة ، وهي تستطرد في شماتة أشبه بالجدل :

— والآن عليكما أن تختارا بدؤركما .. إما الرحيل وحدكما ،  
أو مشاهدة عُنق رفيقكما ، وأنا أبتره ..

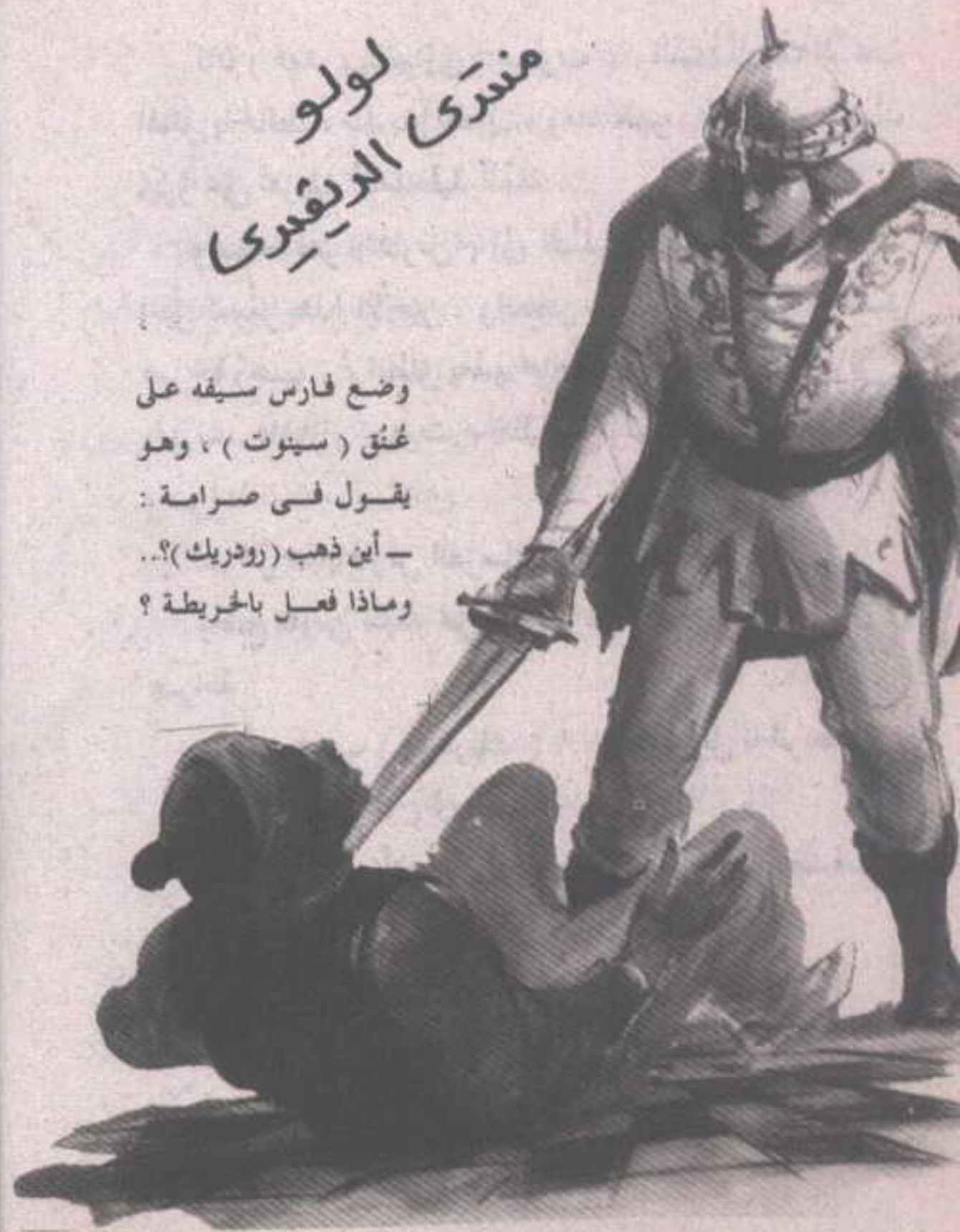
ووضعت نصل السكين على عُنق ( مهاب ) ، وأطلقت  
ضحكة ..

ضحكة شيطان مرید ..

\*\*\*

## منسرى الرفيقى لولو

وضع فارس سيفه على  
عُنق ( سينوت ) ، وهو  
يقول فى صرامة :  
— أين ذهب ( رودريك ) ؟ ..  
وماذا فعل بالخریطة ؟



## ٦ — شرف الفرسان ..

استيقظ الحكيم الشيخ ، في معسكره بالقرب من  
( غرناطة ) ، على وقع حوافر جواد يقترب من الخيّم ، فهبّ  
من فراشه ، ومدّ يده يلتقط سيفه ، وهو يغمغم :  
— كم صار السيف ثقيلاً ، منذ بلغ عمر مشيب الشعر ربع  
قرن من الزمان .

غادر خيمته ، ووقف أمامها حاملاً سيفه ، ومحاولاً اخراق  
حجب الظلام ، لتبيّن ذلك الفارس ، الذي يقترب من الخيّم  
على صهوة جواده ..

وعلى ضوء القمر والنجوم ، رأى الفارس يتجاوز آخر  
صفوف الأشجار ، ويتجه إليه مباشرة ، فاشتدّت قبضته على  
مقبض سيفه ، وهو يتمتم :

— أعدو هو أم صديق ؟

توقّف الفارس أمامه مباشرة ، وقال في هدوء :

— مساء الخير أيها الوزير ..

بدت ملامح الفارس واضحة نسيّاً ، على ضوء القمر ، ولم  
يكذ الشيخ يتبيّن هذه الملامح ، حتى ترك سيفه يسقط أرضاً ،  
وهو ينحنى نصف الخنائة ، قائلاً في احترام واضح :

— مولاي ( محمد ) .. سيّد ( بنى الأحمر ) ، وأمير  
( غرناطة ) (\*) مرحباً بجلالتك في مخيّم المتواضع .

هبط الأمير ( محمد ) عن صهوة جواده ، وهو يقول :

— مرحباً بك أنت في ( غرناطة ) أيها الوزير .

ابتسم الشيخ ، وهو يقول :

— لم أغد وزيراً يا مولاي .. إنما أنا مجرد شيخ وحيد .

هزّ الأمير رأسه ، وقال :

---

(\*) بنو الأحمر : هم سلالة ( أبو عبد الله الغالب بالله محمد بن يوسف  
بن محمد بن أحمد بن حميس الخزرجي ) ، الذي لقّب بـ ( ابن الأحمر ) ،  
والذي كان جندياً موفور العزم والجرأة ، ثم تمت بيعته أميراً  
لـ ( غرناطة ) ، ودخلها في أواخر رمضان عام ٦٣٥ هـ ( أبريل ١٢٣٨  
م ) ، وظلّ نسله يحكمها حتى سقوط ( الأندلس ) ، عام ٨٩٧ هـ  
( ١٤٩٢ م ) .

— أنت الذى رفض المنصب أيها الشيخ .. لقد عرضته عليك منذ ما يقرب من عشرين عامًا ، عندما أتيت من ( قرطبة ) ، وكنت أتعنى الاستفادة من حكمتك وخبرتك ، ولكن .....

لم يتم الأمير عبارته ، وكأنما لم يجد داعيًا لذلك ، فى حين انحنى الشيخ ، وغمغم :

— للضرورة أحكام يا مولاي .

هز الأمير رأسه متفهمًا ، ثم قال بعد لحظات من الصمت :  
— أتعلم ما نقله لى رجالى اليوم ؟

اكفى الشيخ بابتسامة هادئة ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فتابع الأمير ، وكأنما لم يكن بدوره ينتظر جوابًا :  
— لقد أخبرونى أن فارسًا أبيض الثياب ، أخضر السيف والنطاق ، فضى الخوذة ، قد ظهر فى طرقات ( غرناطة ) هذا الصباح ، على جواد بلاسرج أو جام .

ثم رمق الشيخ بنظرة جانبية ، مستطرًا :

— أتعلم بيم ذكرنى الرضى والجواد الأبيض ؟

لم يجب الشيخ هذه المرة أيضًا ، فاعتدل الأمير وسأله :  
— أهو ابنه ؟

أوماً الشيخ برأسه إيجابًا ، وقال هذه المرة :  
— إنه هو يا مولاي .

تنهد الأمير ، وعاد يسأله :

— أمن أجله رفضت المنصب ، ورفضت الإقامة فى قصر الحمراء ، وفضلت العيش فى هذا الخيم ، على مشارف ( غرناطة ) ؟

أجاب الشيخ فى هدوء :

— نعم يا مولاي .

ابتسم الأمير ، وقال :

— أراهن أنك قد صنعت منه فارسًا لا يشق له غبار .  
لم يجب الشيخ ، وإنما اكفى بابتسامة هادئة ، جعلت الأمير يسأله فى فضول واضح :

— من علمه القتال ؟

أجابه الشيخ فى اقتضاب :

— ( مهاب ) .

رفع الأمير حاجبيه ، وهتف :

— ( مهاب ) ؟ .. أتغنى قائد فرسان والده ؟

أوماً الشيخ برأسه إيجابًا ، فهز الأمير رأسه فى إكبار ، ثم عقد كفيه خلف ظهره ، وسار قائلًا :

— يالتروعة .. إذن فقد احضنم الابن ، ومنحه أنت  
علمك وحكمتك ، في حين علمه ( مهاب ) القتال والضرب  
والنزال .. صدقني يارجل .. لقد صنعتم من هذا الشاب  
معجزة .

ثم التفت إلى الشيخ يسأله :

— قل لي : هل تعلم لماذا أتيتك وحدي ، دون رفيق أو  
حارس ؟

أجابه الشيخ :

— لأنك أردت أن تعلم .

ابتسم الأمير ، وقال :

— كنت واثقا من أنك وراء كل هذا ، وأنى أستطيع  
الإفادة من فارسك هذا ، من أجل ( الأندلس ) .

ثم اتسعت ابتسامته ، وهو يستطرد :

— وأنا هنا ، لتسيق هذا معك .

بدا الارتياح على وجه الشيخ ، وهو يقول :

— أنا رهن إشارتك يا مولاي .

وبدأ فصل جديد من فصول ملحمة الفارس ..

فارس ( الأندلس ) ..

\*\*\*

كان الموقف دقيقا للغاية في الحان ، والمعجوز تهدد بذبح  
( مهاب ) الفاقد الوعي ، أمام عيني ( فارس ) و ( فهد ) ،  
ولقد شعر ( فارس ) بالغضب إزاء الموقف ، وقال للمعجوز في  
صرامة وغلظة :

— ابتعدى عن ( مهاب ) أيها الخيزبون ، وإلا فأقسم أن  
أقطعك إربا ، لو مسست شعرة واحدة من رأسه .

أطلقت المعجوز ضحكة شيطانية أخرى ، وقالت :

— بل أقسم أنا أن أذبحه كالشاه ، لو لم تغادرا المكان  
بأقصى سرعة .

انعقد الغضب مع حاجبي ( فارس ) ، وهو يقول :

— أيها المعجوز اللعينة .

ثم التفت إلى ( فهد ) ، وقال :

— صوب سهمك إلى رأسها يا ( فهد ) .

وبأسرع من لمح البصر ، كان ( فهد ) قد انتزع قوسه

وسهمه ، وصوب الأخير إلى رأس المعجوز ، التي انتفضت في

خوف ، ثم هتفت في عصبية :

— إنك لن تقتل امرأة .. فرسان العرب لا يفعلون هذا .

أجابها ( فارس ) في صرامة :

— كل شيء مُباح في الحروب أيتها الحفيرة ، وهذا الزنجي ،  
الذي يصبّ عليك سهمه ، يأتمر بأمرى ، وينفذ كل ما أمليه  
عليه دون تردّد أو تفكير ، وأقسم أن أمره بقتلك شرّ قطة ،  
لو مسست شعرة واحدة من رأس ( مهاب ) .

تردّدت العجوز في خوف ، ثم قالت في حدة :

— وماذا لو أننى لا أخشى الموت ؟

أجابها في صرامة :

— أنت قُلْتِها أيتها العجوز .. العذاب يُلْفَى أكثر من

الموت ، و ( فهدي ) لن يُطلق سهمه على قلبك ، بل على

أحشائك ، حيث تكون الآلام مُبرّحة هائلة ، وكأن النيران

تسعر في أعماقك ، فتتمتّن الموت ألف مرّة ومرّة .

شُحِب وجه العجوز ، وارتعد السكّين في قبضتها ، في حين

استغلّ ( سينوت ) انشغال ( فارس ) بالحدث معها ، واستلّ

خنجره المسموم في حذَر ، ثم رفعه عاليًا ، وصرخ :

— مُثّ أيها الفارس الأبيض .

وهوى بالخنجر على قلب ( فارس ) ..

\*\*\*

ابتسم ( فرناندو الخامس ) ، عندما دلفت ( إيزابيلا ) إلى

قاعته ، وقال :



والعجوز تهدد بذبح ( مهاب ) الفاقد  
الوعى ، أمام عيني ( فارس ) و ( فهدي )

— واعزيزتى ( إيزابيلا ) ، يُلوح لى أن ابتسامتك تحمل نبأ  
انتصار ما ، فهل أنا على حقى ؟

ابتسمت قائلة :

— تمامًا يا عزيزى .

ثم جلست على مقعد واسع ، مُوشى بالذهب ، وهى  
تستطرد :

— لقد وصلت رسالة أخرى ، بالحمام الزاجل ، يقول فيها  
( رودريك ) إنه مازال يحتفظ بالخریطة ، وهو فى طريقه إلى  
هنا .

تمم ( فرناندو ) :

— عظيم .

والتقط كأسًا من الخمر ، ناوها إليها ، وهو يلتقط كأسًا  
أخرى ، قائلاً :

— ستیح لنا هذه الخریطة اختراق دفاعات العرب ،  
وهدم آخر حصونهم فوق رءوسهم ، حتى ترتفع رايتنا فوق  
( الأندلس ) كلها .

وارتشف رشفة من كأسه ، ثم سأل الملكة :

— أخبرينى يا عزيزتى ، مادام ( رودريك ) هذا يجيد  
إرسال الرسائل بواسطة الحمام الزاجل هكذا ، فلم لا يرسل  
الخریطة بالوسيلة نفسها ، بدلًا من أن يركض بها طيلة الليل  
هكذا ؟

أجابته وهى ترتشف كأسها فى ببطء :

— لأن الخریطة على رُقعة ثقيلة ، يعجز الحمام الزاجل عن  
التحليق بها .

مطأ شفتيه فى استنكار واستهجان ، ثم لم يلبث أن ابتسم ،  
وقال :

— لا بأس .. إن غدًا لناظريه قريب .. سيصل  
( رودريك ) بالخریطة ، ونغدًا نحن نحطأ ، و.....

ضرب كأسه بكأسها ، مستطردًا فى جدل :

— ونشرب نخب النصر .

وابتسما معًا ..

\*\*\*

كان ( سينوت ) قريًا من ( فارس ) للغاية ، حتى أنه لم  
يتصور أن يخطئ بخنجره قلب بطلنا ، إلا أن ( فارس ) تحرك فى  
سرعة ، ومال جانبًا فى رشاقة ، ثم رفع قبضته ليقبض على معصم  
( سينوت ) بأصابع من فولاذ ، ويقول فى غضب صارم :



— أيها الوغد الزنيم .. أردت طعنى من الخلف ؟

صرخ ( سينوت ) فى ألم ورُعب :

— الرُّحمة أيما الفارس .. الرُّحمة .. كانت لحظة جنون ..

سأله ( فارس ) فى صرامة :

— أين ذهب ( رودريك ) بالخریطة ؟ .. أجب وإلا

مزقتك إربًا .

كان رُعب ( سينوت ) قد بلغ مبلغه هذه المرّة ، فهتف :

— لقد رحل على صهوة جواد آخر ، وترك جواده هنا

للضليل .

صرخت العجوز ( راشيل ) :

— لا تخبره شيئًا .

ولكن ( سينوت ) تجاهل صيحتها ، وهو يتابع :

— لقد اتخذ الطريق المباشر إلى ( قرطبة ) ، وسيلفها قبل

الفجر .

دفعه ( فارس ) ، قائلاً فى ازدراء :

— اذهب أيها الجبان الحقيق .

سقط ( سينوت ) أرضًا ، ثم هبّ صارخًا ، وهو يرفع

خنجره عاليًا :

— كان ينبغي أن تنتزع خنجري أيها العربى ، أو.....

استدار إليه ( فهد ) فى حركة سريعة ، وأطلق نحوه سهمه ،

فانغرز السهم فى قلب ( سينوت ) تمامًا ..

وجحظت عينا ( سينوت ) ..

وسقط خنجره المسموم فى يده ..

وسقط هو خلفه جثة هامدة ..

وبسرعة مذهشة ، وقبل أن يستقرّ جسد ( سينوت ) على

الأرض ، كان ( فهد ) يضع سهمًا جديدًا فى قوسه ، ويصوبه

إلى العجوز ، التى ارتجفت على نحو واضح هذه المرّة ،

وهتفت :

— لا تقتلنى أيما الفارس .

رفع ( فارس ) رأسه إليها ، وقال فى صرامة :

— أبعدى السكّين عن عنق ( مهاب ) .

هتفت :

— ليس قبل أن أحصل منك على وعد .

قال فى صرامة :

— وعد بماذا ؟

أجابته وهى ترتجف :

— بالأتمس شعرة واحدة متى .

أجابها بلا تردد :

— لك هذا .

أهدت السكين عن عنق ( مهاب ) ، فهتف ( فارس )

— ( فهد ) :

— الفحصه يا ( فهد ) .

أسرع ( فهد ) بفحص ( مهاب ) ، في حين هبط ( فارس )

إلى حيث المعجوز ، ودفعا أمامه ، قائلاً :

— سأبقى على حياتك ، ولكنني سأضعك في القبر حتى

نصرف ..

رمقه بنظرة ملؤها البغض والكراهية ، دون أن تبس ببتة

شفة ، وهو يدفعها أمامه إلى القبر ، ولكنه لم يكذب يعلق بابه

خلفها ، حتى ابتسمت ابتسامة خبيثة مقبلة ، وقالت :

— لا أحد يهزم ( راشيل ) بهذه السهولة أيها العربي .

وأسرعت إلى عدة أقفاص ، تحوى عددًا من الحمام

الزاجل ، وأخرجت واحدة من الحمام ، ذات صدر قوى ،

ووضعتها في قفص خالي ، ثم التقطت رقعة صغيرة ، وراحت

تخط عليها بضع كلمات في سرعة ، حتى انتهت منها ، وعادت

إلى الحمامة ذات الصدر القوى ، وربطت الرقعة إلى ساقها في

إحكام ، ثم اتجهت بها إلى نافذة صغيرة ، في أعلى جدار القبر ،

وهي تقول في سُخرية :

— هيا .. انطلقى إلى أسياذك ، وأخبرهم أن ( راشيل )

ستظل مخلصه لهم قوّمًا ، حتى يغادر آخر عرى أرض

( الأندلس ) .

وأطلقت الحمامة ..

وخفق الطائر البريء بأجنحته ، وهو ينطلق نحو

( قرطبة ) ، دون أن يدرك أنه يحمل في قدمه رق الحياطة

والقدر ..

أما ( فارس ) ، فقد أغلق باب القبر على المعجوز ، وأعاد

سيفه إلى غمده ثم عاد أدراجه إلى حيث يقف ( فهد ) ، وسأله

في قلق :

— كيف حال ( مهاب ) ؟

لم يُجِب ( فهد ) بحرف واحد ، وإنما أشار إلى جراح

( مهاب ) ، التي انهمك في تضميدها ، فاقرب منه

( فارس ) ، وفحص ( مهاب ) في اهتمام ، ثم تنفس الصعداء ،

وقال :

— حسنا .. إنه فاقد الوعي فحسب ، ولكن جراحه تحتاج إلى عناية خاصة .

ونهض مستطرذا في حزم :

— احمله إلى الشيخ يا ( فهد ) .. إنه الوحيد الذي يمكنه معاونته الآن .

ظهر شيء من القلق في عيني ( فهد ) ، فاستطرد ( فارس ) :

— لقد انطلق الجاسوس عائدا إلى ( قرطبة ) ، ولا بد من اللحاق به ، قبل أن تقع الخريطة الدفاعية في أيدي سادة ( قشتالة ) .

قالها وأسرع نحو جواده ، ووثب على صهوته ، وهو يجذب معرفته ، هاتفا به :

— هيا يا ( رفيق ) .. أعلم أنك متعب بحق ، ولكنني سأطالبك بجهد إضافي يا صديقي ، وإلا فقدنا أثر الجاسوس .

ثم انطلق بجواده الأبيض ، مستطرذا :

— هيا يا ( رفيق ) .. من أجل ( الأندلس ) .

وغاب الاثنان وسط الظلام ..

\*\*\*

انطلق ( رودريك ) بجواده ، ينهب الأرض نهبا ، في طريقه إلى ( قرطبة ) ، حيث تنتظره مولاته ( إيزابيلا ) ، ملكة ( قشتالة ) ، ووصيفتها الفاتنة ( غاللا ) ..

وابتسم ( رودريك ) ، وهو يسترجع ذكريات غرامه مع ( غاللا ) ، وجهالها الفتان ، وهتف بنفسه :

— أسرع يا ( رودريك ) .. أسرع ، لتعم بدفء ( غاللا ) وحبها ..

فجأة ، تحيل إليه أن لوقع حوافر جواده صدى واضحا ، يتردد من بعيد ، ثم لم يلبث أن انتبه إلى أن هذا ليس صدى حوافر جواده ، وإنما وقع حوافر جواد آخر ، فعقد حاجبيه ، وغمغم في قلق :

— عجبًا !! .. يبدو أنه هناك من يتبعني .

مال بجواده جانبا ، وأوقفه إلى جوار شجرة ضخمة ، ثقلت أفرعها بثمار الفواكه الناضجة ، وقفز من على صهوة الجواد ، وربط لجامه إلى فرع كبير ، ثم استل سيفه ، واختفى خلف الجذع الضخم ، يراقب الطريق ، وهو يقول في لحفوت :

— نعم .. هناك شخص يقترب على صهوة جواد قوى .. تبًا لظلام الليل ، الذي يعجزني تعرفه .

ثم ابتسم وهو يستطرد في سُخرية :

— ولكن من يحتاج إلى تعرف فارس أبيض مفرور ، قليل الخبرة .

اخفى خلف الشجرة ، وتابع خفية ذلك الفارس ، الذي يقترب في سرعة ، حتى صار على قيد متر واحد منه ..

وهنا قفز ( رودريك ) من خلف الشجرة ، ورفع سيفه في وجه الجواد ، مطلقاً صرخة قوية ، رفع لها الجواد قائمته الأماميتين ، وأطلق صهيل فزع ، في نفس اللحظة التي انقضت فيها ( رودريك ) على الفارس ، صارخاً :

— مُث أيها الفبي .. مُث .

وطعن الفارس في صدره ..

وغاص سيفه في الصدر حتى مقبضه ..



## ٧ — السَّهْم ..

كان الظلام والليل يتدّان بلا نهاية ..

والقمر يتوسّط السماء ..

وَوَقَّعَ حوافر جوادين يملأ الأسماع ..

هكذا كان المشهد ..

كان ( فهد ) يعدو بجواده ، وقد امتزج لونا لهما بلون الليل البهيم ، وقد أمسك ( فهد ) لجام جواد آخر ، رقد فوقه ( مهاب ) ، الذي لم يستعد وعيه بعد ..

وكان الصمت هو رفيق ( فهد ) كالمعتاد ..

ثم قطع ( مهاب ) هذا الصمت ..

قطعه وهو يتأوّه ، ويغمغم :

— أين أنا ؟ .. ماذا حدث ؟

استعاد وعيه وانتبه إلى المشهد ، فاعتدل يستقرّ على صهوة جواده ، وهو يتف :

— ( فهد ) ؟ .. إلى أين نطلق ؟ .. أين ( فارس ) ؟

أوقف ( فهد ) الجوادين ، والتفت إلى ( مهاب ) ،

و.....

وتكلم ..

تكلم ( فهد ) في حزم واقضاب ، وبصوت عميق ..

عميق وكأنه يأتي من أعماق سحابة ..

قال كلمتين فحسب :

— يكمل مهمته .

كانت واحدة من المرات النادرة ، التي سمع فيها

( مهاب ) صوت ( فهد ) ، طوال عشرين عامًا ، حتى أنه

أخذ بالجواب لحظات ، قبل أن يهتف :

— يا إلهي !.. هل انطلق وحده خلف ( رودريك ) ؟ ..

والى أين يتجهان بالله عليك ؟

أجابه ( فهد ) في اقضاب :

— ( قرطبة ) .

هتف ( مهاب ) :

— ( قرطبة ) ١٢

ثم جذب عنان جواده ، وهتف وهو يديره في حزم :

— لن نتركه وحده .. غدا بنا يا ( فهد ) .. سنلحق به .

لم يجب ( فهد ) ، أو ينس بينت شفة ، وكأنما أفرغ كل

مالديه في الكلمات القليلة ، التي تحدت بها إلى ( مهاب ) ،

وإنما أدار عنان جواده وجواد ( مهاب ) ، وعاد ينطلق بهما إلى

طريق ( قرطبة ) ..

وفي توثر بالغ ، قال ( مهاب ) :

— لم يكن ينبغي أبدًا أن نترك ( فارس ) وحده ..

تخيل إليه أنه يتحدت إلى نفسه ، عندما لاذ ( فهد )

بالصمت التام ، فاستطرد :

— إنه عنيد كما تعلم ، وتنقصه الخبرة العملية ، ومن الممكن

أن يوقعه ( رودريك ) في فخ ما ، أو يصرفه على مطاردة هذا

الأخير ، عبر حدود ( الأندلس الصغرى ) ، إلى أرض

الأعداء .

جاوبه الصمت المطبق مرة أخرى ، فجذب عنان جواده

في قوة ، محتملاً آلام جراحه ، وهو يهتف في جدّة :

— حسنًا يا ( فهد ) .. سأبمع مبدأك .. لا داعي

للكلام .. دغنا نطلق بأقصى سرعة للحاق بـ ( فارس ) ..

ثم مط شفتيه ، واستطرد في توثر بالغ :

— قبل أن نفقده .. إلى الأبد ..

\*\*\*

انعقد حاجبا ( رودريك ) في شدة ، وهو يحذق في وجه  
الفارس ، الذي أغمد سيفه في صدره ، قبل أن يهتف في دهشة  
بالغة :

— ( ليفي ) ..

هت الشاب ، وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة ، وقال في ضعف :  
— سيدي .. أردت اللحاق بك ؛ لأخبرك أن الفارس  
الأبيض قد .. قد هزمه الرجال .. وسيلحق بك ، و..... ،  
و.....

أطلق شهقة أخيرة ، ثم لفظ آخر أنفاسه ، وتحجرت عيناه ،  
فاعتدل ( رودريك ) ، وقال في حدة :

— غبي .

ثم تطلع إلى الطريق ، وأضاف في قلق :

— ذلك الفارس يطاردني إذن .. ياله من موقف ! .. هذا  
يضع أمامي أسلوبين فحسب ، إما أن أنتظره ، وأقاتله ، أو .. أو  
أنطلق بأقصى سرعة لأسبقه ، وأبلغ ( قرطبة ) .

صمت لحظات مفكرا ، ثم قال في حزم :

— لا تخاطر يا ( رودريك ) .. المهم أن تبلغ ( قرطبة ) ،

و.....

أطلق ضحكة عسيّة ، وأضاف :

— وذراغي ( غالا ) .

ثم قفز على صهوة جواده ، وجذب لجامه ، وانطلق به نحو  
الهدف ..

نحو ( قرطبة ) ..

\*\*\*

لم يتوقف جواد ( فارس ) الأبيض الأصيل عن القُدو ، ليلة  
الليل ، على الرغم من الرحلة الطويلة ، التي قطعها ، من مخيم  
الشيخ إلى ( غرناطة ) ، ثم إلى خان ( الوادي الكبير ) ، وعلى  
مته ( فارس ) ، الذي يحث على المواصلة ليلة الوقت ، منشدا  
له بعض الأشعار الحماسية ، كما لو كان صديقا بشريا عاقلا ..  
وعندما تلون الشفق بألوان الفجر الأولى ، ربت  
( فارس ) على عنق جواده ( رفيق ) ، وقال :

— اهدل أقصى جهدك يا ( رفيق ) .. إننا نقرب من  
حدود مملكة العدو ، ولو بلغها ذلك ( القشتالي ) قبلنا ،  
ستعرض ( الأندلس ) لخطر ماحق .

وكأنما أدرك الجواد العربي ما يقوله فارسه ، فقد زاد من  
سرعته ، وراحت قوائمه تنهب الأرض نهبًا ، على الرغم من أنها

كانت تبدو — للناظر من بعيد — وكأنها لا تمس الأرض قط ،  
حتى لاح جواد ( رودريك ) من بعيد ، يعدو نحو تل يكسوه  
العشب الأخضر ، فهتف ( فارس ) :

— أسرع يا ( رفيق ) .. أسرع يا صديقي .. لا بد أن نبلغه ،  
قبل أن يبلغ هذا التل

وفي نفس اللحظة لمح ( رودريك ) ( فارس ) ، وهو يحث  
جواده على اللحاق به ، فأطلق ضحكة ساخرة ، وهو يقول :

— خسرت يا فارس العرب .. ما إن أصعد ذلك التل ،  
حتى ألقى بحامية الدفاع عن ( قرطبة ) ، التي سيب فرسانها  
كلهم للذود عني ، وقتلك شر قتلة .

كان الاثنان ينطلقان بأقصى سرعتهما ، ولكن المسافة التي  
تفصلهما ظلت ثابتة تقريباً ، وراح ( رودريك ) يقترب من  
التل في سرعة ، فقال ( فارس ) في ضيق :

— لن نلحق به هكذا يا ( رفيق ) .

ثم جذب معرفة جواده في حزم ، فصهل الجواد سهيلاً  
قويًا ، وكأنها يعترض على إيقافه ، ولم يبلغ السباق متناه بعد ،  
إلا أنه أطاع الأمر ، وتوقف ، وهو يضرب الأرض بحوافره في  
غضب ..

وفي هدوء وثقة ، حمل ( فارس ) قوسه وسهامه ، وثبت  
قاعدة سهمه في وتر قوسه ، وجذب الوتر في إحكام ، وسدد  
سهمه ، و.....

وأطلقه ..

وفي نفس اللحظة ، كان ( رودريك ) يطلق ضحكة ظافرة  
عالية ، ويهتف :

— انتهى السباق أيها العربي .. لقد ربح ( رودريك ) ،  
و.....

بتر عبارته بنقطة ، مع سهيل ألم من جواده ، الذي تعثر  
فجأة ، وأسقط فارسه أرضاً ، فنهض ( رودريك ) يهتف في  
غضب :

— اللعنة !.. أما وجدت سوى هذه اللحظة لتعثر ، أيها  
الجواد ال.....؟

اختفت بقية الكلمة في حلقة ، وهو يمدق في ذلك السهم ،  
الذي انغرس في فخذ جواده ، ثم أدار رأسه في حركة حادة ،  
وتطلع في ذهول إلى ( فارس ) ، الذي يعدو نحوه ، على صهوة  
جواده الأبيض ، ثم عاد يمدق في السهم ، هاتفاً :

— مستحيل !.. من هذه المسافة !؟ ..

## ٨ — المواجهة ..

اقحمت الملكة ( إيزابيللا ) جناح الملك ( فرناندو ) ،  
وهي تهتف في توأثر بالغ :

— مصيبة أيها الملك .. مصيبة .

هبَّ الملك من فراشه ، وهو يقول في قلق :

— آية مصيبة يا عزيزتي ( إيزابيللا ) تلك التي تحدث قُرب

الفجر ..؟ هل هاجم العرب حدودنا ؟

عقدت حاجيبها ، وهي تقول :

— لم يَجِنْ وقت هذا بعد .

ثم دفعت إليه رُقعة صغيرة ، مستطردة :

— هناك فارس بطارد ( رودريك ) ، ويسمى لانتزاع

الخريطة منه .

هتف في ضيق :

— فارس واحد؟! .. أأصابك كل هذا الذعر ، من أجل

فارس واحد؟!!

قالت في غضب :

القرب وقع حوافر جواد ( فارس ) منه في سرعة ، فعقد  
حاجبيه ، مستطرذا في حِدَّة .

— ولكن لا .. لن يهزم عربي ( رودريك ) .

وبسرعة ، اختطف قوسه وسهمه ، وصوّب السهم نحو  
صدر جواد ( فارس ) العربي الأصيل ..

وأطلقه ..

وكان السهم مسدّدا في إحكام ..

في إحكام شديد ..

\*\*\*





— إنك لم تقرأ بعد ذلك الوصف ، الذي وصفته  
( راشيل ) لذلك الفارس .

تثائب وهو يسألها :

— من ( راشيل ) هذه ؟ .. وصيفة جديدة من  
وصيفاتك ؟ .. كيف لم يسبق لي أن رأيتها ؟  
حدّجته بنظرة مُحَنِّقَة ، وهي تقول :

— اطمئن أيها الشره .. إنها ليست واحدة من وصيفاتي ،  
ولن يسعدك أبداً أن تراها ، فهي الصورة المناقضة تماماً  
لوصيفتي ( غالا ) ، التي تتسلل إلى حجرتها سرّاً ، في ليالي  
الشتاء الباردة .

عقد حاجبيه ، وهو يقول في لحشونة :

— حسناً .. ماذا تقول ( راشيل ) هذه عن الفارس ؟  
أجابته في حِدَّة :

— تقول إنه يرتدى زياً أبيض اللون ، ويتمنطق بنطاق  
وسيف أخضرين ، ويضع على رأسه خوذة من الفضة ، و.....  
قاطعها في انفعال :

— ويمتطي جوادًا بلاسرج أو لجام .  
قالت في حزم :



هَبَّ الملك من فراشه ،  
وهو يقول في قلق :  
— آية مصيبة يا عزيزي  
( إيزايلاً ) تلك التي  
تحدث قرب الفجر ؟ ..

انعقد حاجباه في شدة ، وتمم :

— ولكن هذا مستحيل !

وتحسَّ جرحًا قديمًا في ذراعه ، قبل أن يستطرد في كراهية :

— الموت لا يعودون إلى الحياة أبدًا .

قالت في صوت حاسم :

— ولكن أبناءهم يكملون المسيرة .

التفت إليها ، يسألها في حزم :

— ماذا تعنين ؟

أجابته في لهجة ذات مغزى خاص :

— هل تذكر كيف اختفى ذلك الوزير ، واختفى معه الابن

الرضيع ، بعد مصرع الجميع ؟

أجابها في انفعال :

— إنني أذكر هذا بالطبع .

ثم عاد يتحسَّ جرح ذراعه ، مستطردًا في بغض :

— لقد اختفى الزُّرِّي أيضًا ، حتى أننا لم نعر عليه أبدًا .

قالت مبتسمة في حُبث :

— ها هو ذا قد عاد .

ضرب قبضته في قائم فراشه ، صائحًا :

— اللعنة !!

ثم بدا وكأنه قد امتلأ بحماس فائق ، وهو يستطرد :

— أخبريني .. أين نجد ( رودريك ) وذلك الفارس

الأبيض ؟

أجابته في حماس مماثل :

— لقد اتخذنا الطريق المباشر إلى ( قرطبة ) .

ثم أضافت في هفة :

— هل نرسل فرقة لنجد ( رودريك ) ، والقضاء على

ذلك الفارس ؟

هزَّ رأسه نفيًا ، وقال :

— لا .. إرسال فرقة كاملة قد يثير العرب ، تبدأ بيننا وبينهم

حرب ، لم نستعد لها بعد .

وابتسم ابتسامة والقة ، مستطردًا :

— ثم إن ( رودريك ) هذا — حسبما أعلم — فارس عظيم ،

لا يحتاج إلى فرقة كاملة لهزيمة فارس واحد ، مهما كان هذا

الفارس .

واتسعت ابتسامته ، وهو يستطرد :

— ما لم يكن غرامه لـ ( غالا ) قد استنزف حماسه وبأسه .  
سألته في جدّة :

— ذغك من هذا ، وأخبرني ماذا ستفعل ؟  
مطُ شفتيه ، وقال :

— سأرسل ثلاثة من أفضل فرساننا لحسب .  
وعاد حاجباه ينقدان ، وهو يضيف :

— وسأطلب منهم تمزيق ذلك الفارس إربًا ، وإحضار ثوبه  
الأبيض إلى هنا .. تحت قدمي ..

وفي أعماقه تأججت تيران الشر ..

\*\*\*

كان السهم ينطلق نحو صدر الجواد العربي تمامًا ، دون أن  
يحاول ( فارس ) الابتعاد بجواده ، أو الميل به يمنة أو يسرة ،  
حتى أن ( رودريك ) هتف في ظفر :

— لقد وقعت أيها العربي ..

ولكن هينها ..

لقد كان ( رودريك ) الأسباني يواجه فارسًا عربيًا

متميزًا ..

كان يواجه ( فارس الأندلس ) ..

لقد انتظر ( فارس ) ، حتى صار السهم على قيد أمتار قليلة  
من صدر جواده ، ثم جذب معرفة الجواد ، صائحًا :

— الآن يا ( رفيق ) .

وفي مشهد رائع ، وأداء مذهل ، لم يَر ( رودريك ) مثله من  
قبل ، في حياته كلها ، رفع الجواد الأبيض قائمته الأماميتين ،  
وقفز ..

بل طار في الهواء ..

وشاهد ( رودريك ) — في ذهول — سهمه يمرق أسفل  
الجواد الأبيض ، الذي تجاوز السهم بوثة مدهشة ، قبل أن  
يستقر مرة أخرى على قوائمه ، ويواصل عدوه نحوه ..

ومن شدة المفاجأة ، لم يتحرك ( رودريك ) قيد أنملة ،  
حتى بلغه ( فارس ) وجواده ، واعتدل ( فارس ) على صهوة  
الجواد الأصيل ، وقال :

— الخريطة أيها ( القشتالي ) .

عقد ( رودريك ) حاجبيه في غضب ، واستل سيفه ،  
قائلًا :

— اهبط وخذها بنفسك أيها العربي .



والتقى الفارسان ، والتقى سيفاهما ، وتعالى صليل السيوف في الوادي ..

وثب ( فارس ) من على ظهر جواده إلى الأرض ، واستل سيفه بدوره ، وهو يقول في حزم :

— كما نشاء يا رجل .

ابتسم ( رودريك ) في سُخرية ، محاولاً النيل من ثقة خصمه ، وهو يقول :

— إذن فأنت تتصور نفسك فارساً ، فتقود جوادك دون سرج أو لجام ، وتقاتل دون درع .

أشرقت الشمس في اللحظة نفسها ، وانعكست أشعتها على الخوذة الفضية ، والسيف الحاد ، فبدأ ( فارس ) أشبه ببطل أسطوري ، وهو يجيب :

— قاتل يا رجل ، وكف عن اللغو والحديث .

ألقي ( رودريك ) درعه جانباً ، وهو ينقض هاتفاً :

— فليكن .

والتقى الفارسان ، والتقى سيفاهما ، وتعالى صليل السيوف في الوادي ..

مبارزة قوية هي ..

السيوف تتصادم وتتباعد ..

الأنفاس تعلق وتهبط ...

القلوب تنبض وتخفق ..

والفارسان يتقاتلان ..

لم تكن مجرد مبارزة بين رجلين ..

أو مصارعة فارسين ..

بل كانت قتال مبدأ ومنشأ وهدف ..

وهتف ( رودريك ) ، وقد أنهكه القتال :

— رائع أيها العربي .. إنك تقاتل كفارس صنيديد ، على

الرغم من صغر عمرك .

أجابه ( فارس ) ، وهو يهوى عليه بسيفه :

— العمر لا يقاس بالسنوات يا رجل ، وإنما بالخبرات .

أطلق ( رودريك ) ضحكة ساخرة ، وهتف :

— هكذا ١٢ .. ذق إذن خبرة فارس قديم .

قالها وتراجع في حركة حادة ، ثم انقضَّ بسيفه على قلب

( فارس ) مباشرة ..

وفي سرعة ومهارة ، مال ( فارس ) جانبًا ، ثم قفز إلى

أعلى ، وتحركت قدمه وذراعه في آن واحد ، فضربت قدمه

صدر ( رودريك ) ، في حين هوت يده بسيفه على سيف

( القشتالي ) ..

وطار سيف ( رودريك ) بعيدًا ، وانغرس في الأرض

الخضراء ، في حين سقط صاحبه على ظهره ، وهو يهتف :

— اللعنة !!

وبقفزة ماهرة ، أصبح ( فارس ) عند رأس ( رودريك )

تمامًا ، ثم رفع سيفه ، وضرب به صدر هذا الأخير ..

وتجمدت الدماء في عروق ( رودريك ) ، وتصوّر أن

التصل الحادّ سيفي في صدره ، إلا أنه لم يلبث أن شعر بدهشة

عارمة ، عندما اكتفت ذبابة التصل بمسّ صدره ، لتقطع ذلك

النطاق الجلدي الرقيق ، المربوط على صدره ، وتلتقط خريطة

الدفاعات ، وتلقى بها عاليًا في الهواء ، لتلتقطها قبضة

( فارس ) في رشاقة مدهشة ..

وفي هدوء وثقة ، فضَّ ( فارس ) الخريطة ، وقال في

ارتياح :

— إنها هي .

ثم استدار ، وابتعد في هدوء ، فهض ( رودريك ) يهتف به

في دهشة :

— لماذا لم تقتلني ؟

أجابه ( فارس ) في بساطة ، وهو يعيد سيفه إلى غمده ،  
ويلتقط من جيبه — في حرص — قينة صغيرة ، داخل غلاف  
جلدى سميك :

— لست أقوى إراقة الدماء بلا طائل .

هتف ( رودريك ) في دهشة :

— بلا طائل ؟

لم يلتفت إليه ( فارس ) ، وإنما راح يسكب محتويات القينة  
على الخريطة ، التي تصاعدت منها أدخنة كثيفة ، وراحت  
تأكل في سرعة ، فهتف ( رودريك ) في جزع :

— ماذا فعلت بها ؟

أشار ( فارس ) إلى القينة ، قائلاً :

— إنه زيت الزاج الأخضر<sup>(\*)</sup> .. إنه يحرق الأوراق بلانار .

حدق ( رودريك ) في الخريطة في ذهول ، وقد استحالت

إلى رماد محروق ، وتساقت كهشيم أسود ، بين قدمي

( فارس ) ، الذي ركناها في لامبالاة ، ثم اتجه نحو جواده ، فصاح

به ( رودريك ) في غضب :

(\*) زيت الزاج الأخضر : هو الاسم القديم لحمض الكبريتيك .

— ولكنك لم تفر بعد .

قفز ( فارس ) على ظهر جواده ، وهو يقول في هدوء :

— اذهب إلى حال سييلك يا رجل .. لقد حصلت أنا على

ما أبتغيه .

صاح ( رودريك ) في حدة :

— هذا ما تظنه .. إنني أحفظ تلك الخريطة عن ظهر قلب .

أدار ( فارس ) جواده ، وهو يقول :

— هُراء .

صاح به ( رودريك ) :

— بل حقيقة أيها العربي .. إنكم تركزون دفاعاتكم في

( قصر الحمراء ) ، وعلى الحدود الشمالية الشرقية ، و.....

قاطعته ( فارس ) في حزم :

— كفى .

ثم عاد يستدير إليه بجواده ، مستطردًا في ضيق .

— إنك لم تترك لي الخيار .. هيا .. استعد سيفك .

قفز ( رودريك ) يلتقط سيفه ، ورفع هاتفاً :

— المبارزة حتى الموت .

هبط ( فارس ) من على صهوة جواده ، قائلاً :

## ٩ - القتال ..

حثّ ( مهاب ) جواده على الإسراع ، على الرغم من آلام جراحه ، التي تضاعفها ارتجاجة الجواد ، وهتف بـ ( فهد ) ، على الرغم من ثقته في عدم الحصول على جواب ، من هذا الأخير :

— ترى .. هل نصل في الوقت المناسب يا ( فهد ) ؟  
ودون أن ينتظر جوابًا ، أشار إلى الأفق مستطرّدًا :  
— لقد أشرقت الشمس تقريبًا ، وهذا يعني أن ( رودريك ) قد بلغ ( قرطبة ) أو كاد .  
لم يجب ( فهد ) كالمعتاد ، وإنما حاول أن يزيد من سرعة جواده ، الذي ينطلق بأقصى سرعته بالفعل ، في حين تابع ( مهاب ) :

— أخشى ما أخشاه أن يواصل ( فارس ) المطاردة ، ويعبر الحدود خلف ( رودريك ) ، فقد يتعرّف أحد زيّه ، ويدرك حقيقة انتباهه .

— نعم .. حتى الموت .

ومرّة أخرى ، تقارعت السيوف ..  
ولكن في هذه المرّة ، كان القتال يختلف ..  
لم يكن هناك مجال للعفو أو التنازل ..  
كانت مبارزة حاسمة ..  
وحتى الموت ..

\*\*\*



بدا وكأن ذلك الحاطر قد زاد من انزعاجه ، فقد دفعه إلى  
لكثر جواده ، وهو يهتف :

— ربّاه !!.. لا بدّ أن تُسرع يا ( فهد ) .. لا بدّ ..  
وانطلق الاثنان يسابقان الرياح ..

\*\*\*

التقى سيفاً ( فارس ) و ( رودريك ) ، وتصارعت  
السيوف ، إلى جوار ذلك التلّ ، الذي يفصل ما بين ( قشتالة )  
و ( غرناطة ) ، وبدا ( رودريك ) شديد العزم والحزم هذه  
المرّة ، وهو يضرب سيف ( فارس ) بكلّ قوته ، هاتفاً :  
— لن تربح هذه المرّة أيها العربي ، إنني أمسك هذا السيف  
من قبل حتى أن تولد أنت .

صدّ ( فارس ) السيف بحدّ سيفه ، ورفعته في قوة ، وهو  
يقول :

— المهم أن تمسكه على نحو جيّد .

— تراجع ( رودريك ) ، ثم انقضّ بسيفه على صدر  
( فارس ) ، وهو يقول :

— أتريد دليلاً على قوّلي ؟

قفز ( فارس ) جانباً ، وتفادى السيف ، وهو يقول :

— إنني أحترق شوقاً لهذا .

أدار ( رودريك ) سيفه في مهارة ، ثم أطلقه نحو معدة  
( فارس ) ، هاتفاً :

— ها هو ذا الدليل .

كانت ضربة ماهرة بحقّ ، إلا أن ( فارس ) نجح في صدّها ،  
وهو يقول :

— دليل على ماذا ؟

عقد ( رودريك ) حاجبيه في غضب ، وهو يقول :

— من الواضح أنك قد تلقّيت تدريباً جيّداً أيها العربي ،  
فأنت أوّل من أمكنه صدّ ضربتي الخاصة .

أجابته ( فارس ) ، وهو يعاود هجومه :

— إنها ضربة عادية ، طالما تبادلتها مع مدرّبي .

تعالى صليل سيفيهما ، و ( رودريك ) يسأله :

— من مدرّبك هذا ؟

أجابته ( فارس ) :

— إنه أفضل عربيّ يحمل السلاح ، في هذا العصر .

هتف ( رودريك ) ساخراً :

— هراء ..



كان من الواضح ، على الرغم من قُوَّتَهما ، ومهارتهما القتالية العالية ، أن أحدهما يحتاج إلى جهد رهيب ؛ هزيمة الآخر ، وأن نتيجة الصراع صعبة الاستنتاج ..

وفي أعماقه ، اعترف ( فارس ) بأن ( رودريك ) هذا واحد من أعظم الفرسان ، وأنه لا يضاهيه في الواقع سوى مدرّبه ( مهاب ) ..

ثم فجأة انقلبت الموازين ..

انقلبت مع ظهور ثلاثة من فرسان ( قشتالة ) ، على قمة التل ..

ولم يكد ( رودريك ) يلمح رجاله ، وهم يهبطون التل ، حتى أطلق ضحكة ظافرة ، وهتف :

— خسرت هذه المرّة حقاً أيها العربي .. وسيراق دمك على مشارف ( قرطبة ) .

وفي هذه المرّة شعر ( فارس ) بقلق حقيقي ؛ فلو انضمّ الفرسان الثلاثة إلى ( رودريك ) ، بكل قوة وبأس هذا الأخير ، فسيفني هذا أن الهزيمة ستكون من نصيبه ..

حتمًا ..

\*\*\*

انحنت ( غالا ) أمام ملكتها ، وهي تقول في صوت رخيم هادئ :

— مولاتي .

أشارت إليها ( إيزابيلا ) بالنهوض ، وسألتها في فضول واضح :

— هناك شيء يشغلني ، وأرغب في سؤالك عنه يا ( غالا ) ، ولكنني أريد جوابًا صريحًا ، واضحًا ، حاسمًا . وعقدت حاجبها ، وهي تستدرك في صرامة :

— وإلا طردتك من خدمتي إلى الأبد .

أحنت ( غالا ) رأسها الجميل ، وهي تقول :

— أنا رهن إشارة مولاتي ، وأقسم أن أجيها بكل الصراحة والوضوح .

سألتها ( إيزابيلا ) :

— مهما كان السؤال ؟

أجابتها ( غالا ) على الفور ، دون أن تتردّد لحظة واحدة :

— مهما كان السؤال يا مولاتي .

ابتسمت ( إيزابيلا ) في ارتياح ، ومالت نحوها تسألها :

— هل تحبين ( رودريك ) ؟

وبلا تردّد في هذه المرّة أيضًا ، أجابها ( غالا ) :

— نعم .

تراجعت ( إيزابيلا ) ، وعيناها تتسعان ، وكأنما أدهشها  
الجواب ، وعُبرت عن ذهنتها بقولها :

— عجبًا !! .. لم أتوقع هذا .

سألها ( غالا ) على نحو مباشر :

— لماذا يا مولاتي ؟

هزّت كفيها ، وقالت :

— لم أتصوّرك تحيّن .

ابتسمت ( غالا ) ، قائلة :

— كل امرأة ، في هذا العالم ، تحتاج إلى الحبّ يا مولاتي ؛  
لأن هذا جزء من أنوثتها وطموحها ، على عكس الرجل ، الذي  
يمكنه إشباع رجولته وطموحه من خلال عمله ونجاحه .

سألها ( إيزابيلا ) فجأة ، في شيء من الجدّة :

— وماذا عن ( فرناندو ) ؟

خفضت ( غالا ) عينيها ، وأجابت :

— وهل يمكنني اعتراض مشيئة مولاي الملك ؟

رمقتها ( إيزابيلا ) بنظرة شكّ طويلة ، ثم سألها في بطاء :

— ماذا تفعلين لو قتل أحدهم ( رودريك ) ؟

رفعت ( غالا ) عينيها ، وقالت في جدّة :

— أقتله .

هتفت ( إيزابيلا ) ، وقد أدهشها الجواب :

— تقتلينه !؟

ثم أطلقت ضحكة طويلة ، مستطردة :

— هل تحيّن إلى هذا الحدّ ؟

واعتمدت مردفة ، دون أن تنتظر جوابًا :

— استعدّي إذن يا عزيزتي ( غالا ) ، فـ ( رودريك )

يواجه الآن فارسًا عربيًا صديداً ، وقد انتهى الأمر لغير صالح

فارسك .

وأطلقت ضحكة أخرى ، وهي تغادر المكان ، في حين

بقيت ( غالا ) لحظات ، وقد احتقن وجهها ، ثم لم تلبث أن

عقدت حاجبيها ، وقالت في حزم :

— لن تختلف النتيجة ، بالنسبة للفارس العربي يا مولاتي ،

فإما أن يقتله ( رودريك ) .. أو أقتله أنا .

وكان هذا قسماً ..

أو نبوءة ..

\*\*\*

تضاعفت قوة ( رودريك ) ، وتضاعف حماسه ، وهو  
يضرب سيف ( فارس ) بسيفه ، ويصرخ :

— خسرت أيها العربي خسرت .. لقد وصل رجالى .  
كان ( فارس ) يعلم أنه على حق ، فلا قبل له بمواجهة فارس  
رهيب كـ ( رودريك ) ، مع ثلاثة آخرين فى آن واحد ..  
وراح ( رودريك ) يطلق ضحكات مجلجلة ، تموج بالظفر  
والشامة ، حتى وصل الرجال الثلاثة ..

وكان على ( فارس ) أن يواجه الأربعة ..  
وعلى الرغم من استحالة انتصاره هذه المرة ، راح  
( فارس ) يقاتل فى بسالة منقطعة النظر ، فى حين هتف  
( رودريك ) :

— أريده حياً .. لا تقتلوه ..

ثم انقضَّ بسيفه على ( فارس ) ..

وفى هذه المرة نجح سيفه ، وأطاح بسيف ( فارس ) ..  
ومع ضحكات ( رودريك ) الشامته ، انقضَّ الفرسان  
الثلاثة على ( فارس ) ، وكبّلوا حركته تماماً ، فهتف فى غضب :

— يا للعار ! .. أى فارس أنت يا ( رودريك ) ؟

أطلق ( رودريك ) ضحكة متشفية ، وهو يقول :

— فارس ( قشتالى ) أيها العربي .

هتف ( فارس ) فى ازدراء :

— هراء .. إنك لا تستحق لقب الفارس قط ، فالفارس  
الحق يقاتل بذراعه ، لا يدعو الآخرين للتكالب على خصمه .  
مطأ ( رودريك ) شفتيه ، وقال :

— لست افهم هذا المنطق أيها العربي .. ما أفهمه هو أن  
الفارس الحق من يربح معاركه بأية وسيلة .  
قال ( فارس ) فى احتقار :

— ليس هذا مبدأ الفرسان .

رفع ( رودريك ) سيفه ، وقال :

— إنه مبدأ ( رودريك ) إذن .

وأطلق ضحكة ساخرة ، قبل أن يستطرد :

— أبلغ هذا المبدأ لمن ستلقى بهم فى الجحيم ، ممن أرسلتهم  
إليه قبلك .

ثم هتف بزملائه :

— أحنوا عنقه .

حاول الثلاثة أن يجيروا ( فارس ) على الانحناء ، إلا أنه قاوم

فى بأس شديد ، وهو يقول فى صرامة :

— لا أيا القشتالي . لن ينحني عربي أمامك قط .  
أطلق ( رودريك ) ضحكة عالية ، أكثر سُخرية ، وهو  
يقول :

— لا بأس أيا العربي .. لاتنخن .

ثم رفع سيفه عاليًا ، مستطرًا :

— اذهب إلى الجحيم واقفًا .

وأطلق نصل سيفه نحو عنق ( فارس ) ..

\*\*\*



## ١٠ — الختام ..

كان ( رودريك ) يطلق ضحكة ساخرة شامتة ظافرة ،  
عالية ، وهو يهوى بسيفه على عنق ( فارس ) ، وقد أيقن تمامًا  
من النصر ..

ثم هوت ساعة القدر على عنقه هو ..

فجأة ، احسبت ضحكته في حلقه ، وجحظت عيناه في  
السم وذُفول ، وأطلق الفرسان الثلاثة شهقة ذعر وذُفول ،  
وهم يحدقون فيما أصابه ..

لقد مَرَق سهم حاد في الهواء ، وانفزز في عنق  
( رودريك ) ، مخترقًا حنجرته ، ونفذ من مؤخرة عنقه ..

وتولج ( رودريك ) ..

ترنح لحظة واحدة ..

ثم هوى ..

وسقط جاسوس ( قرطبة ) جثة هامدة ..

وأدار ( فارس ) عينيه إلى الجهة ، التي انطلق منها

السهم ..

وبنظرة واحدة أدرك كل شيء ..

فهناك .. عند تل قريب ، كان جواد أسود ( أدهم )  
ينطلق ، وعلى متنه زنجي متين البنيان ، مفعول العضلات ، يلحم  
سهماً آخر لقوسه ، وخلفه جواد يمتطيه رجل أشيب الفوذنين ،  
عريض المنكبين ..

ولى غمرة المفاجأة ، دفع ( فارس ) جسده إلى الخلف ،  
وأسقط الفرسان الثلاثة أرضاً معه ، ثم تخلص من قبضاتهم ،  
وهبّ واقفاً على قدميه ، وهو يهتف :  
— الآن اختلقت الأمور ..

اختطف سيفه ، في نفس اللحظة التي انقضت عليه فيها  
الفرسان الثلاثة ..

ودار سيفه على سيوفهم ..

كان يتلقى ضربة سيف على سيفه ، ويتفادى أخرى في  
رشاقة ، ويدفع قدمه في صدر الثالث ..  
كان يقاتل في بأس منقطع النظير ..

وجندل سيفه واحداً من الفرسان الثلاثة ..

ثم وصل ( فهد ) و ( مهاب ) ..

وتراجع أحد الفارسين الباقين ، وقفز على صهوة جواده ،  
وانطلق به هاتفاً :

— من الحماسة أن يقاتل المرء في معركة خاسرة .

ووجد الفارس الثالث نفسه وحيداً ، أمام سيوف أبطالنا  
الثلاثة ، فألقى سيفه هاتفاً في حنق :

— حسناً .. إننى أستسلم .

أعاد الثلاثة سيوفهم إلى غمدها ، وقال ( فارس ) للرجل :  
— هيا .. اذهب .

لم يصدّق ( القشتالي ) نفسه ، فأسرع يعتلي متن جواده ،  
وينطلق به عائداً إلى ( قشتالة ) ..

والفتت ( مهاب ) إلى ( فارس ) ، وسأله في هفوة :

— هل استعدت الخريطة ؟

أجابه ( فارس ) :

— نعم يا صديقى .. لقد استعدتها ، ودمرناها .. حمدًا لله  
على سلامتك أنت .

ثم رفع عينيه إلى ( فهد ) مستطرذاً :

— أشكرك يا ( فهد ) .. لقد أنفذت حياتي مرتين .

لم يجب ( فهد ) ، وإنما لاح في عينيه بريق امتنان ، وانحنى  
أمام مولاه ، ثم وثب فوق جواده ، ولكرهه في مهارة ، وانطلق

به مختفياً في الأفق ..

وهتف ( فارس ) في دهشة :

— إلى أين يذهب ؟

ابتسم ( مهاب ) ، وتحمس جراحه في ألم ، وقال :

— لا تقلق نفسك بشأنه .. إنه كجواد برّى ، لا يمكنه أن

يتقيد بمجتمع منتظم ..

ثم ربت على كتف ( فارس ) ، مستطرذا :

— المهم أنك قد ربحت معركتك يا فتى .. معركتك

الأولى ..

\*\*\*

عقد ( فرناندو ) حاجبيه في غضب ، وهو يهتف :

— استعاد الخريطة ؟ .. كيف ؟

أجابته ( إيزابيلا ) ، والحنق يملأ كل حرف تنطق به :

— لقد قتل ( رودريك ) ، وواجه مع رفيقين له فرسانك

الثلاثة ، وقتل أحدهم .

صاح ( فرناندو ) في سُخط :

— اللعنة !

وارتشف رشفة من كأس الخمر بين يديه ، واستطرد :

— هذا يعني أن محاولتنا الأولى لهزيمة العرب ، وطردهم من

( الأندلس ) قد فشلت .

قالت مُخنقة :

— المهم ألا تفشل المحاولة الثانية .

قال في حدة :

— لن تفشل .

وشرد يبصره لحظات ، ثم أضاف :

— ولكنني لن أسعى مرة أخرى لسرقة خرائط دفاعية .

سأله في دهشة :

— ماذا سنفعل إذن ؟

صمت لحظات ، ثم التفت إليها ، وقال في حزم :

— سأسعى لاختراق حصنهم الحصين .

وجلس على عرشه ، مستطرذا :

— قصر الحمراء .

عقدت حاجبها ، وهي تسأله :

— لكن كيف ؟ .. أنت تعلم أنهم يُولونهُ اهتمامًا بالغا ،

ويحرصون عليه أشد الحرص ، فهو آخر حصونهم .

ابتسم في نُجث ، قائلاً :

— لا يمكنك اقتحام حصن حصين بالقوة .

سأله في اهتمام :

أطلق ( فارس ) تهيدة قوية ، وهو يقود جواده ، إلى جوار  
جواد ( مهاب ) ، الذى التفت إليه يسأله :

— ماذا لديك ؟

أجابه ( فارس ) :

— كنت أفكر فيما حدث هذه المرة .

ابتسم وهو يسأله :

— وما الذى توصلت إليه ؟

هز كفيه ، قائلاً :

— أظننى أحتاج إلى مزيد من الخبرة .

ضحك ( مهاب ) ، وقال :

— ستحصل عليها مع الوقت .

سأله ( فارس ) :

— أظنننى قد أحسنت الفعل هذه المرة ؟

رَبَّتْ ( مهاب ) على كفيه ، وهو يقول :

— لقد كنت رائعاً .

سأله :

— وهل يمكننى أن أستمر في عمل هذا ؟

ضحك ( مهاب ) مرة أخرى ، وقال :

— كيف يمكنك اتحامه إذن ؟

أشار إلى رأسه ، وأجاب :

— بالعقل والحيلة .

سأله وقد بلغ فضولها مبلغه :

— كيف ؟

أطلق ضحكة ماكرة قصيرة ، وقال :

— دعنى الأمر لى هذه المرة يا عزيزى ، وسأريك كيف

يعمل الرجال ..

وأطلق ضحكته الماكرة مرة أخرى ، فى حين اعتدلت

( غالا ) ، التى تسترق السمع من الحجرة المجاورة ، وقالت فى

بغض وكراهية :

— اتحم قصر الحمراء أو لاتفتحمه يا مولاي ، ولكن

( غالا ) لن تترك نارها أبداً ..

وأخرجت من طيات ثيابها خنجراً حاداً ، وهى تستطرد :

— سأقتل ذلك الفارس العربى الأبيض ، مهما كان

الثمن ..

قالتا وتألفت عيناها ببريق مخيف ..

بريق النار ..

\*\*\*

— لا يوجد مخلوق واحد ، في العالم أجمع ، يمكنه أن يجيب  
سؤالك يا ( فارس ) ..

وربّت على كفه مرّة أخرى ، مستطرّداً :  
— ستدرك هذا وحدك .

وحده !! ..

كم هي صادقة هذه الكلمة ..

كم ستطبق على حياة ( فارس ) فيما بعد ...

لقد شاء القدر أن يواصل ( فارس ) رحلته وحده ؛ لإعلاء  
راية العرب في قلب ( الأندلس ) ..

أن يقاتل وحده أوراق التاريخ ، المتساقطة عن شجرة  
الحياة ، في خريف أعظم حضارات العرب ..

وأن يبقى وحده الفارس ..

فارس ( الأندلس ) ..

\*\*\*

[ تمت بحمد الله ]

رقم الإيداع : ٤٦٨٤  
٩٧٧ / ٢٦٦ / ٠٠٣ / ٢  
١٢٨





## فارس الأندلس

من البطولات العربية  
في أخرج فترة للعرب في أسبانيا

### جاسوس قرطبة

- ما ذلك السر الغامض ، الذي يحيط بمنشأ ( فارس الأندلس ) ؟
- من ذلك الجاسوس ، الذي أرسله ملوك ( قشتالة ) ، من ( قرطبة ) إلى ( غرناطة ) ؟
- ثرى من يربح المعركة ، في أيام ( الأندلس ) الأخيرة ؟ .. ( فارس ) ، أم ( جاسوس قرطبة ) ؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، وعش عصر فرسان ( الأندلس ) .

الأميرة الأسيرة

الرواية القادمة :

المؤلف



د. نيبيل فاروق



المؤسسة العربية الحديثة  
للطبوع والنشر والتوزيع  
٩٠٤٥٥٥ - القاهرة - ت. ٩٠٤٥٥٥

التمن في مصر  
وما يعادله بالدولار الأمريكى  
في سائر الدول العربية والعالم